

## الخريطة الإدراكية الراهنة للتعليم الديني السعودي المصري

### حدود الدراسة وإطار المعالجة:

"التعليم الديني" مفهوم مركزي نحتة الغرب وصدرة إلى العالم الإسلامي كنواة لمنظومة مفاهيمية مساندة ومساعدة، تستدعى كل مكونات الأجنحة الغربية الراهية من أمد طويل إلى إزاحة مفهوم (الدين). بمنظوره الإسلامي كمنهج حياة شامل يتصف بالعمومية والإطلاق والشمول ينظم حياة أتباعه في كل المجالات، وإحلال مفهوم (الدين) الذي تكرر في الغرب في عهد الدولة القومية كعمققات محصورة في مجال الحياة الخاصة ولا موضع لها في فضاء الحياة العامة<sup>(1)</sup>.

ولا ترمى هذه الدراسة إلى التأسيس المفاهيمي المقارن لمفهوم (التعليم الديني الإسلامي)، ولا إلى تحليل سيرة ذلك المفهوم في التفاعل السياسي الحركي بين الغرب والعالم الإسلامي في القرون الثلاثة الأخيرة، وإن كان ذلك يمثل خلفية أساسية لها، بل تقف عند حدود الكليات الثلاث المتضمنة في عنوانها: **الخريطة الإدراكية** (منظومة أنماط التوجهات الذهنية تجاه الظاهرة محل البحث على صعيد التأسيس الفكري والتعامل الحركي)، **الراهنة** (عام 2002، مع التأكيد على أنه غير منقطع الصلة بما قبله عامة وبالعدد الأخير بوجه خاص)، **للتعليم الديني السعودي المصري** (في الداخل السعودي المصري، وبامتداداته المفترضة في بقية العالم بوجه عام وفي باكستان بوجه خاص). وتشمل الخريطة الإدراكية للتعليم الديني السعودي المصري خريطين فرعيين متفاعلتين داخلياً وخارجياً: الخريطة الإدراكية الأمريكية، والخريطة الإدراكية السعودية المصرية، من ثم يأتي تقسيم الدراسة إلى مبحثين.

وتطبق هذه الدراسة منهجية التحليل النسقي المفهومي الرامي إلى بناء الصورة الإدراكية لعلاقية التعليم

الديني السعودي المصري بالواقع السياسي العالمي الراهن بأسلوب استقرائي، بافتراض أن السلوك السياسي تجاه الظاهرة محل البحث (التعليم الديني السعودي المصري) يعتمد على: الصورة الذهنية أو على البنية المعرفية الذاتية أكثر من اعتماده على حقيقة الظاهرة أو على حقائق الموقف السياسي التي لا تعبر أبداً عن نفسها بنفسها، بل تخضع لعملية تأويل وانتقاء وتنظيم بشرية تقود إلى فهمها على نحو معين وإدارتها بشكل معين فيما يعرف بالخريطة الإدراكية التي تصير بمثابة بوصلة للملاحة في عالم تلك الظاهرة، وقد تكون مؤسسة على تبسيط اختزالي لا شأن له بالواقع أو تكون قريبة من ذلك الواقع بدرجة أو بأخرى<sup>(2)</sup>.

وبالتالي، فإن الإشكالية البحثية لهذه الورقة تقتصر على وصف معالم الصورة الذهنية للتعليم الديني السعودي المصري بشئ روافدها دون الخوض في مدى قربها أو بعدها عن حقيقة الظاهرة محل البحث وعن حقيقة الواقع السياسي العالمي الراهن.

### المبحث الأول

#### الخريطة الإدراكية الأمريكية للتعليم الديني

##### السعودي المصري

يتزعم الأمريكيون توجهاً يروجون له بكل الطرق يربط بين نوعية التعليم الذي كرسه المملكة العربية السعودية داخلها، وفي أرجاء العالم، وظاهرة الإرهاب العالمي وكل مظاهر الضعف التي يعاني منها العالم الإسلامي، ويكادون يجمعون على فساد التعليم الديني في العالم الإسلامي ووجود علاقة عضوية بين ما يعتبرونه إفساداً للنظام التعليمي السعودي لم يقف تأثيره عند حد السعودية بل انتشر في كل أرجاء العالم، وبين التلاقي الذي تم بين الفكر الوهابي وفكر حركة الإخوان المسلمين، مع

النظام الديمقراطي الليبرالي الغربي. ورغم أن دعاة التكيف أكثر عدداً من دعاة الصدام فإن رؤيتهم التي تدعو إلى سياسة أمريكية أكثر مرونة وازدواجاً في تحقيق ترويض الإسلام للمطالب الأمريكية مهمشة والغلبة الآن لدعاة الصدام لأن تحالفهم مع اليمين المحافظ الأمريكي الجديد المسك بزمام السلطة بالولايات المتحدة يعطى صوتهم قوة وانتشاراً وفرصة للتفعيل على أرض الواقع<sup>(3)</sup>.

ومن أبرز رموز التوجه الصدامي بين الإسلام والغرب: برنارد لويس وصمويل هنتنجتون وجاموس بيرلموتر وجين كريكبا تريك وجوديث ميلر ودانيال بابير ومارتن كرامر وفرانيسيس فوكوياما. ومن أهم معالم الصورة التي يقدمها هؤلاء أن: الإسلام ذاته مناقض للديموقراطية الليبرالية، ولا أساس لإخراج أى نشاط إسلامي من مفهوم الأصولية الإسلامية المعادية للغرب بطبيعتها، والتي يتمثل هدفها الثابت في مناهضة الثقافة السياسية الديمقراطية بكل السبل، لانتفاء وجود أرضية مشتركة بينها وبين القيم الثقافية الغربية العلمانية شأنها شأن الحركات الفاشية والنازية. والبدل الوحيد العملي هو قضاء الولايات المتحدة على الحركة الإسلامية في مهدها. ولا موضع للتعويل على التحول الديمقراطي في العالم الإسلامي، فالشعوب الإسلامية غير مستعدة له، وهى تنفرد بأنها إذا أتاحت لها فرصة حرة لتقرير مصيرها فإن خيارها لن يكون منطقياً. وبالتالي فإن السعى إلى الإصلاح الديمقراطي وحرية الانتخابات في العالم الإسلامي سابق لأوانه وسيؤدى إلى ظهور أنظمة حكم أشد معاداة للديموقراطية في جوهرها، وتعتبر الأنظمة الحاكمة الراهنة بالقياس بما أخف الضررين. والعلاقة عضوية بين الإسلام والحدود الدامية والعجز الديمقراطي والتخلف الاقتصادي، واللعبة بينه وبين الغرب صفرية بالضرورة: إما أن يدمر الغرب الإسلام وإما أن يدمره الإسلام<sup>(4)</sup>، والمطلوب في رأى هؤلاء هو فرض الوصاية

الاختلاف - فحسب - بشأن أيهما أفسد الآخر، والسيرة التاريخية للعلاقة بينهما، ويطرحون تصوراً لما يعتبرونه (إصلاحاً لذلك التعليم) يمس العقيدة الدينية السائدة في العربية السعودية وأعراف المجتمع السعودى المصرى. وفيما يلى شئ من التفصيل لهذه الأبعاد الثلاثة للصورة التي يلح الأمريكيون على رسمها للتعليم الدينى السعودى خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001:

### أولاً: فساد التعليم الدينى الإسلامى: يرجع فساد

التعليم الدينى الإسلامى فى المنظور الأمريكى إلى طبيعة الإسلام ذاته فى رأى البعض، وإلى ما يعتبرونه تفسيراً غير صحيح للإسلام فى رأى البعض الآخر.

### 1- إرجاع فساد التعليم الدينى الإسلامى

إلى طبيعة الإسلام ذاته: يسود اتجاهان بين المفكرين الأمريكين حول طبيعة الإسلام، الأول يدعو إلى الصدام بين الإسلام والغرب، والثانى يدعو إلى التكيف والترويض. ومن رموزه جون اسبوسيتو، وريتشارد بوليت، وروبين رايت، فضلاً عن وجود بعض المفكرين يعكفون على تفكيك النموذج الأمريكى من خلال الكشف عن التناقض بين خطابه وبين واقعه فى الحركة السياسية من أمثال إدوارد سعيد ونعوم شومسكى، وهم قد يصب تقديم للنموذج الأمريكى بشكل غير مباشر لصالح الإسلام. إلا أننا فى هذه الدراسة التى تهتم بمفهوم التعليم الدينى المصرى السعودى كمحور لأجندة الحركة السياسية الغربية بربادة الولايات المتحدة تجاه العالم الإسلامى، نلاحظ أن الاختلاف فى رؤية الفريقين الأساسيين ليس نوعياً بل هو اختلاف فى سبل الوصول إلى هدف واحد. فقط يرى الصداميون أن استجابة الإسلام للنموذج الرأسمالى الليبرالى مستحيلة ويجب بالتالى تنحيته، فى حين يزعم الفريق الثانى قابليته لمحاكاة ذلك النموذج. ولا يساند أى من الفريقين تعليماً دينياً يكرس هوية إسلامية مغايرة لمرتكزات

الإسلامية البربرية - في رأيه - والمخالفة للمعايير الغربية، والتي تتسبب هي والمذهب الوهابي في تضییع فرصة استفادة العربية السعودية من الوجود العسكري الأمريكي الراهن على أراضيها في تحقيق تكيف المجتمع السعودي مع متطلبات الحداثة بمؤشراتها الأربعة: حقوق المرأة، التحول الديمقراطي، التسامح مع الوجود الأجنبي، إلغاء الحظر على المشروبات الكحولية.

ويستتر وراء ذلك التعليم - في رأى أولمان - نفاق الأسرة السعودية الحاكمة ورغبتها في توظيفه سياسياً لصالحها على حساب الأمن والسلم الدوليين بالإتفاق على مدارس راديكالية بالخارج تخرج شباباً يروج دعاية استفزازية تركز كراهية الغرب من أجل مهادنة المعارضة وإبقاء المتطرفين والتطرف خارج حدودها. ومن علامات سوء نية السعودية في عهد الأمير عبد الله التخلي عن تعليم النخبة السعودية بالولايات المتحدة والاتجاه إلى تعليمهم في المدارس والجامعات السعودية، ويصب ذلك في تعميق الخطر الأكبر الذي تتعرض له الولايات المتحدة وأصدقائها، ألا وهو: صيغة ابن لادن للثورة والتغيير التي تتفاعل في تربة خصبة وسط مليار مسلم يعتبرون أتباعاً كامنين لها وتستطيع أن تجند ألسوف الأتباع منهم، بصرف النظر عن بقاء أسامة بن لادن كشخص أو زواله، مهما تضائل حظها من النجاح. ونواة هذه الصيغة هي: الثواب في الآخرة على كراهية الغرب. ووجود أكثر من ثمانين دولة يشتهب في إيوائها لعناصر من تنظيم القاعدة أبرز دليل على صدارة خطر هذه الصيغة وعلى قدرتها التصديرية والتعبوية العالية<sup>(8)</sup>.

وترى الإدارة الأمريكية أن الحكومة السعودية لم تكن تعتمد من وراء توظيفها السياسى للتعليم الدين بالخارج وسماعها بأن يكون المال السعودي والأشخاص السعوديون هم عصب ظاهرة الأفيان العرب استهداف أمن الولايات المتحدة، بل مجرد مهادنة المعارضة السعودية وتشجيعها على العمل خارج السعودية بدلاً من العمل

الأمريكية على العالم الإسلامى بالقوة، إذ أن البديل الإسلامى مرفوض، والبيئة غير مؤهلة بعد للبديل الديمقراطي الذى قد يؤدي إذا تم فرضه قبل الأوان إلى عكس المراد منه<sup>(5)</sup>. وتنعكس هذه الرؤية للإسلام على المنظور الأمريكى للتعليم الإسلامى في واقعه الراهن وما ينبغي أن يكون عليه حيث يرى صمويل هنتجتون أن الصراع الراهن صراع بين: الذهنية الإسلامية التوحيدية الأحادية المغلقة، والذهنية المفتوحة المؤسسة على التعددية العلمانية للغرب اليهودى المسيحى. فالإسلام هو القوة الأكثر رجعية واستعصاء على قبول التعددية في عالم اليوم المنخرط كله باستثناء الإسلام في: تعددية ما بعد الحداثة التفكيكية القائمة على النسبية الثقافية، وعلى رفض ادعاء وجود حقيقة مطلقة.

وفي حين أنهكت الحروب الدينية في أواخر العصور الوسطى الذهنية التوحيدية اللامتسامحة في الغرب اليهودى المسيحى، وأدت إلى التسليم بالفصل بين السياسة والدين وقبول التعددية فإن العالم الإسلامى لم يمر بهذه الخبرة بعد، وترتب على ذلك أن صار الإسلام أقل الديانات التوحيدية تسامحاً الآن على غرار ما كانت عليه المسيحية إبان الحروب الصليبية<sup>(6)</sup>.

## 2- الاتهام الأمريكى للتعليم الوهابى

### الإخواني بوصفه تفسيراً فاسداً للإسلام:

يتهم فرانسيس فوكوياما السعودية بنشر التعصب الإسلامى في أرجاء العالم عن طريق ما يسميه بالتعليم الوهابى القائم برأيه على غرس عقيدة فاشية إسلامية غير متسامحة ومعادية للحداثة بدليل تضمين أحد الكتب المدرسية السعودية مبدأ: وجوب موالة المسلمين لبعضهم البعض ومعادتهم للكفار<sup>(7)</sup>.

ويتهم هرلان أولمان السعودية بتبني تفسير فاسد للإسلام يرى ضرورة دحض شرعيته، وأدلة فساده هي: عدم فصله بين الدين والسياسة، وسعيه لتكريس هوية مغايرة للهوية الغربية من منطلق دينى، واستناده إلى الشريعة

وهذا هو سر نجاحها في نشر أيديولوجيتها وتأثيرها الكبير في تشكيل عقول الشباب في العالم الإسلامي. وسيكون لنجاح هذه المدارس الإسلامية وفشل المدارس الحكومية تأثير خطير على المجتمعات الإسلامية.

ويقول السفير الأمريكي السابق لدى الأمم المتحدة ريتشارد هولبروك أنه رأى في أوزبكستان مدارس يمولها السعوديون تدرس الدراسات القرآنية، وتنشئ ففة من الناس يرون أن التعليم هو: القرآن ولا شئ معه. ويتهم السعودية بانتهاج سياسة غير متناسقة فهي تحرص على: التواصل مع الغرب بعقليات مثقفة ومنفتحة -كوزير خارجيتها وسفرائها- وتسمح في نفس الوقت بسيطرة الأصوليين على وزارتي التعليم والشئون الدينية وتمول: التعليم المبني على القرآن وحده.

ويتهم الأمريكيون المقررات الدينية السعودية بأنها تقسم البشر إلى: وهابيين ناجين من أهل الجنة، وغير وهابيين كفرة أو مشركين أو مضيعين يجب كراهيتهم واضطهادهم، بل قتلهم. ويقولون إنه برغم إداة السلطات السعودية لأسامة بن لادن فإنها لم تدن الرسالة التي لم يتعلمها ابن لادن في القمر، بل في السعودية، وهي رسالة لا تزال تدرس هناك، ولو قضى ابن لادن نجبه وظلت تلك المقررات الدراسية وتلك السياسة التعليمية فإنه سيظهر أكثر من بن لادن آخر. وهذه المقررات ذاتها يتلاعب بها الوهابيون الجدد ويوظفونها ضد النظام السعودي الحاكم ذاته، ويصدرونها إلى العالم كله من باكستان إلى كاليفورنيا عبر نظام المدرسة. وما تدمير طالبان لشمال بوذا إلا صدى لرؤية الوهابيين أن التماثيل شرك. ويمتد تأثير هذا الفكر الوهابي إلى الكويت وعمان والإمارات العربية المتحدة<sup>(9)</sup>.

ومخرجات هذا التعليم دليل مادي على خطورته وفي مقدمتها: حركة طالبان التي تخرجت في المدارس السعودية بباكستان، وإعجاب الطلبة السعوديين بمنفذ

داخلها، وشغلها بنشر المذهب الوهابي بالخارج عبر شبكة من المدارس الإسلامية السعودية التمويل والإدارة.

ومن أبرز الأدلة التي يسوقها الأمريكيون على نشر مقررات التعليم السعودي للتطرف الإسلامي:

أ- ثلث المقررات الدراسية مقررات دينية إجبارية.

ب - تضمن كتاب (الحديث) للصف الثالث المتوسط حديثاً يبشر المسلمين بالانتصار على اليهود في نهاية المطاف لأنهم على حق، بشرط استقامة المسلمين على شرع الله واتحادهم وتحليمهم بالصبر والاستعانة بالله في مواجهة عدوهم الذي يجب أخذ الحذر منه واليأس من رضاه عنهم.

ج- تضمن كتاب (التفسير) للصف الثالث المتوسط الآيتين الثالثة والرابعة من سورة الحشر المتعلقتين بمحاصرة الرسول ﷺ لليهود بنى النضير وإجلالهم لعداوتهم لله ورسوله، كدليل على معاقبة الله لمن يخرج على شرعه في الدنيا والآخرة.

د- النمو الانفجاري للمدارس السعودية التي تدرس المذهب الوهابي بالخارج المنشغلة ليس بالدراسة، بل بالجهاد. والتدقيق في نظام التعليم السعودي -بالتالي- هو مفتاح التصدي للحركة الإسلامية. فترويج هذا التفسير هو نواة وجود إرهابيين ومساندين لهم. وهذا التفسير تروجه مدارس ما كانت لتوجد أصلاً وتنتشر وتخرج هذا العدد الهائل من الخريجين لولا التمويل والتنظيم السعودي. ونقطة ارتكاز هذه المدارس هي باكستان وآسيا الوسطى وهي تعلم مبعوثين بمنح دراسية من مناطق أخرى، ومهمتها ليست إعداد: الداعية الإسلامي، بل المجاهد الإسلامي، وتدريب جيل من أئمة المساجد الجدد الذين يؤسسون بدورهم مدارس دينية ويتولون الدعوة في المساجد من جاكرتا إلى الرباط. ومعظم عناصر هذه المدارس ينتمون إلى الطبقة الوسطى،

65% لا بد أن يؤدي منع الشباب من الاختلاط ومن ممارسة المتع التي تعتبر حقوقاً طبيعية لنظرائهم في الدول الأخرى إلى إحساسهم بالإحباط الشديد، وانصرافهم إلى المخدرات والإنترنت والفضائيات التليفزيونية لتفريغ طاقاتهم المكبوتة وشغل فراغهم. ومع انفتاح أولئك الشباب على العالم الحديث يتعمق إحساسهم بنقل تلك القيود، وتختلف تطلعاتهم عن أسلافهم.

(ب) البطالة والتخلف: حريج التعليم السعودي غير مؤهل للعمل بالشركات الحديثة في عصر العولمة. والسبب في ذلك أن قرابة ثلث الساعات الدراسية مخصصة للدراسات القرآنية، وعدم انفتاح الدارسين على الفلسفة غير الإسلامية. وكنيجة لذلك تتخرج من الجامعات السعودية عناصر أقدر على تحليل النصوص الدينية من قدرتها على العمل الإداري أو المهندسي أو المعماري أو المعلوماتي. ويترتب على ذلك تفضيل أصحاب الأعمال ومديري الشركات للعمالة الأجنبية الأكفأ والأرخص. ويسفر ذلك عن ظاهرة غريبة هي: استيراد ثلثي القوة العاملة ووجود بطالة تصل إلى 30% من الشباب السعودي، وإلى 95% من الفتيات السعوديات. وبذا تنفرد السعودية باستيراد العاملين من الدول الأخرى ليزداد عدد العاطلين من أبنائها.

(ج) التوتر الاجتماعي: يؤدي تخلف نظام التعليم السعودي والقيود التي يعاني منها وعدم قدرته على التكيف مع متطلبات سوق العمل إلى انخفاض ملحوظ في قدرة الشباب على الزواج ورعاية الأسرة. وأصبح أكثر من ثلثي الفتيات السعوديات اللاتي في سن الزواج محرومات من فرص الزواج، مما ينذر بأمراض اجتماعية تحتاج إلى إصلاحات جذرية لمعالجتها تشمل: إزالة العقبات التي تحول دون حرية

هجوم 11 سبتمبر 2001، والمعارضة الطلابية للوجود الأمريكي في السعودية وللتأييد الأمريكي لإسرائيل، وسخاء الأثرياء السعوديين في الإنفاق على التعليم الداعم لهذه التوجهات في كل أرجاء العالم<sup>(10)</sup>.

3- تحميل التعليم الديني مسئولية كل مشكلات السعودية الداخلية: يؤدي التعليم الديني السعودي في المنظور الأمريكي إلى:

(1) معاناة الدولة السعودية من انقسام

الشخصية: يتهم الأمريكيون السعودية بأنها دولة تعاني من انقسام الشخصية. فهي دولة تحتضن في بعض مدنها الكبرى أعلى درجات الحداثة، وهي دولة تدمغ منذ الإطاحة بنظام طالبان بوصف: الدولة الدينية الأكثر تشدداً في العالم الإسلامي. ومفردات تسويغ هذا الوصف - كما يطرحها الغربيون - هي: اعتبار القرآن دستور المملكة وتفسيره على أنه يحرم رباعي الحداثة: دور السينما، المسرح، صالات الرقص، ظهور المرأة في الأماكن العامة إلا بزي يغطي عموم جسدها. ويلح الغرب بشدة على ما يسميه بانتهاك وضعية المرأة: ربط حقها في الحصول على بطاقة هوية بموافقة وليها أو زوجها، والفصل بين الإناث والذكور في دور التعليم وأماكن العمل، وقيام الأساتذة بتعليم البنات عبر دوائر تلفزيونية لضمان عدم رؤية الأستاذ المحاضر للطلبات، وعدم السماح للمرأة بقيادة السيارات، وربط حقها في السفر وفي فتح حساب مصرفي وفي العمل بموافقة وليها أو زوجها.

(2) التعليم الديني السعودي يؤدي في المنظور

الأمريكي إلى:

(أ) الانحراف: يرى دعاة هذا الطرح أن تلك القيود تؤدي إلى حرمان الألواف من حريجات الجامعات من فرص العمل، وإلى قصر المجال المفتوح أمام المرأة على التدريس والتمريض. وفي مجتمع تبلغ نسبة الشباب الأدنى من سن الخامسة والعشرين فيه

إلى القول بأن: الكل يدرك الآن أن العربية السعودية هي أفغانستان الكامنة القادمة. ولرجال الدين السعوديين تأثير كبير في المدارس ينتقل إلى شرايين الاقتصاد. فلقد سمح آل سعود لرجال الدين المحافظين بـ (احتطاف نظام التعليم). وأصبح التعليم - كما ينقل عن الأمير عبد الله بن فيصل - ذا توجه كلاسيكي ديني منعزل عن الواقع مما أدى إلى سوء الوضع الاقتصادي؛ لأن الخريج السعودي يفتقر إلى الخبرة الفنية التي تؤهله إلى دخول سوق العمل. فالخريج يعرف الله ولكنه لا يعرف العلوم الحديثة. وازدادت خطورة هذه الظاهرة في ضوء تقليص السعودية عدد من تعلمهم بالخارج الآن إلى ربع ما كان عليه الحال في منتصف الثمانينيات. وبذا صار الكابوس الذي ينتظر السعودية هو: جيل من الشباب، المهتد بالبطالة، الأكثر تأثراً من آباءه - بحكم تعلمه - برجال الدين الأصوليين<sup>(12)</sup>.

ثانياً: السيرة التاريخية للعلاقة بين الفكر الوهابي

والإخواني في المنظر الأمريكي: ثمة طرحان أمريكيان هنا: الأول يرى أن الفكر الإخواني أفسد الوهابية ووظفها، والثاني يرى العكس.

### 1- الفكر الإخواني أفسد الوهابية: يرى

أصحاب هذا الرأي أن بذرة فساد التعليم الديني في العالم الإسلامي هي: فكرة الحاكمية لله التي قام عليها فكر الإخوان المسلمين في مصر، ثم زرعوها في العربية السعودية في العهد الناصري، حيث جرى تطعيمها بالفكر الوهابي، ومع الانفتاح في عهد السادات جرت هجرة مكثفة للعمالة المصرية إلى الخليج، وساهم الازدهار البترولي والتحالف المالي بين الإخوان والوهابيين في نشر ذلك الفكر بين العمالة الأجنبية الوافدة، وفي داخل مصر والسعودية، في كل أرجاء العالم عبر مصارف وبيوت استثمار إخوانية وسعودية

التجارة، وفي مقدمتها القيود التي تفرضها التشريعات المستقاة من الشريعة الإسلامية كتحریم الربا، والمستولة عن عجز الاستثمارات المحلية رغم وجود استثمارات سعودية خاصة بالخارج تناهز التريلليون دولار. ولا سبيل لدفع عجلة التنمية في السعودية في وقت انتهى فيه عصر رواج أسعار البترول، وباتت الحكومة السعودية تعاني فيه من مديونية داخلية وخارجية ثقيلة (171 مليار دولار قروض داخلية و 35 مليار دولار ديون خارجية) إلا إزالة تلك القيود لتشجيع المستثمرين المحليين والدوليين. بتعبير آخر، فإن التخفف من الصرامة الوهابية هو المخرج الوحيد للسعودية التي تدين نصيب الفرد فيها الآن إلى خمس ما كان عليه منذ عشرين سنة، وتجمدت مرتبات الموظفين الحكوميين السعوديين منذ سنوات. وعلامات التخفف هي: تحديث جهاز الدولة، وتحرير الاقتصاد والخصخصة وإنشاء شركات تأمين ووضع لائحة للعمل وإنشاء منظمة لحقوق الإنسان<sup>(11)</sup>.

### (د) تكريس الأصولية الجهادية في

الداخل والخارج: ويرى بيل باول أن باكستان وطن لحركة أصولية تحظى بشعبية وتسعى إلى إقامة دولة إسلامية، وهي غير مستريحة لبرويز مشرف الذي ضحى بهم لصالح التحالف مع أمريكا، وإمكانية عدم الاستقرار في باكستان ووقوع القنبلة الإسلامية في يد الإسلاميين تمثل كابوساً جوهرياً، تليه السعودية بسبب البترول. فالصداقة الأمريكية السعودية مؤسسة على الصداقة الجيولوجية. والمدارس السعودية في باكستان بؤرة للتغذية بالمبادئ الجهادية. وتهيمن المدارس والجامعات الإسلامية على نظام التعليم السعودي ذاته. مما دفع الاقتصادى الأمريكى بول كروجمان

المسلمين تعود إلى عهد مؤسس العربية السعودية الذي أدرك الأهمية الكامنة للإخوان المسلمين في تحقيق أجدته السياسية والعسكرية في مواجهة منافسيه الهاشميين، وأن تقاليد البداوة وفكرة الاستشهاد كطريق للجنة هي جذر العمليات الانتحارية الفلسطينية الراهنة. فآل سعود أسسوا سيطرتهم على السعودية على غرس التعصب في أناس بسطاء وتشجيعهم على الاستهانة بأية قوة أرضية بمقولة أنهم إما يجوزون النصر أو الشهادة، وبث الكراهية والشك فيهم تجاه كل من ليس وهايبياً. إلا أن الملك سعود لما وجد أن توظيفه للإخوان وتروجه لهذا الفكر يحول دون التوصل إلى حل وسط مع البريطانيين في أواخر العشرينيات تخلى عن شراكته مع الإخوان لصالح الحليف الأهم: بريطانيا، والآن يجد الأمير عبد الله نفسه أمام نفس الخيار: الاختيار بين التشدد الجهادي (الذي هو إحدى ثمار التحالف بين الوهابية والإخوان المسلمين الجدد) وبين الحليف الأهم: الولايات المتحدة والراجح أنه سيختارها. وقد تؤدي قطيعة النظام السعودي مع الوهابية والعمل على تقليص نفوذها إلى حرب أهلية منخفضة الكثافة في العربية السعودية. فقطيعة آل سعود مع الإخوان في العشرينيات أدت إلى ذلك من قبل ولا زالت تتفاعل. فلقد كان من بين من استولوا على الحرم المكي عام 1979 حفيد لأحد قادة التمرد الإخواني عام 1929، تماماً كما كانوا بذرة نشوء تنظيم القاعدة لاحقاً (15).

ثالثاً: الوصفة الأمريكية لإصلاح التعليم

السعودي:

يجلو الخطاب الأمريكي من ذكر أي إيجابيات للتعليم الديني السعودي الراهن في الداخل أو في الخارج، وبالتالي فإن مفهوم (الإصلاح) قد يصير مرادفاً لتنحية الدين الإسلامي وتهميشه في العملية التعليمية في نظر من يرون عدم قابليته للتكيف مع الشروط الأمريكية، أو تدجينه بحيث يصير تابعاً لتلك الشروط في نظر القائلين

تمارس: ديبلوماسية مالية إسلامية. فالإخوان هم مصدر الداء الذي احتضنته السعودية في العهد الناصري، ثم مصر في العهد الساداتي، ثم صار التحالف المالي الإخواني الوهابي قاطرة لانتشاره في العالم (13)، وأيضاً للتشكيل الفكري لظاهرة أسامة بن لادن المتمثلة في: تأسيس حركة إسلامية عالمية مترابطة، مع التأكيد بوجه خاص على الترابط بين الحركة الإسلامية في مصر والسعودية وباكستان. ففي مدينة جدة بالذات، تم عبر العملية التعليمية، التأسيس الفكري لتلك الظاهرة منذ السبعينيات. فلقد احتضنت جامعات جدة، وعلى رأسها جامعة الملك عبد العزيز التي تخرج فيها أسامة بن لادن نخبة من ألمع الدعاة والأكاديميين المصريين الذين قاموا بتنشئة الشباب السعودي على مقولة محددة هي: الإسلام هو الحل، فلا سبيل لحماية العالم الإسلامي مما يهدد به من أخطار، ومن تسرب العيوب المتأصلة في العالم الغربي إليه إلا العودة غير المشروطة إلى الإسلام في صورته النقية الأولى. وما تحول أسامة بن لادن إلى الاتجاه الإسلامي إلا ثمرة للمطبوعات المصرية وللغكر الذي بثه علماء مصريون من غير خريجي الأزهر التقليديين، تلقوا تعليماً علمانياً غربياً، ولكنهم ما لبثوا أن نبذوه وأنتجوا فكراً إسلامياً ينطلق من تفكيك العلمانية الغربية ونقد الغرب ثم تكريس مبدأ: الإسلام هو الحل. وساهم نجاح الثورة الإيرانية والمقاومة الإسلامية في أفغانستان في طرد السوفيت في رواج ذلك الفكر، وقاد إلى محاولة قلب نظام الحكم السعودي عام 1979 بشعار: مقاومة الفساد وإقامة حكم إسلامي في السعودية وخارجها، وانتهى إلى إعلان أسامة بن لادن تفضيله قضاء يوم في أفغانستان على الاعتكاف ثلاث سنوات في مسجد، ثم إعلانه الحرب على الولايات المتحدة (14).

2- الفكر الوهابي أفسد الفكر الإخواني: يرى

أصحاب هذا الرأي أن العلاقة بين الوهابية والإخوان

لحقيقة والعقل والتقدم والتاريخ. والثانية أظهرت جمود الأنماط الحياتية الإسلامية ودفعت أعداداً كبيرة إلى الهجرة بل السعي إلى الهجرة غير المشروعة إلى الغرب، مع ما تولد عن ذلك من صراع داخل العالم الإسلامي وخارجه يستدعي الاندماج الثقافي ما بعد الحدائي والتحرر من عقدة التبعية الاستعمارية.

رابعاً: الآليات الأمريكية لتنفيذ المفهوم الأمريكي لإصلاح التعليم الديني المصري السعودي: من أهم هذه الآليات:

### 1- الترويج لفكرة احتضان الغرب للإسلام

الليبرالي، وتوظيف الإعلام الغربي في إعادة تصديره إلى العالم الإسلامي، بزعم أن الغرب استقى التفكير ما بعد الحدائي من معين الإسلام، وأن معطيات البيئة العالمية الراهنة تحتم هذا النمط من أنماط التفكير: يدعى البعض أن خبرة الاستقلال الجزائري كانت هي المنبع الأول لاتجاه فكري يرمى إلى بناء بدائل للأيديولوجيات الشمولية يقوم على: تعدد المنظورات الثقافية ونسبية رؤية الثقافات المختلفة للتاريخ والتقدم والتعايش بين الرؤى الثقافية حيث يدافع ميشل فيشر عن تمسك الإسلام مع ما بعد الحدائنة على نحو لا يخلو من الدس والسعي إلى مزيد من الفوضى المفاهيمية سواء على صعيد حفريات المعرفة أو منحوتاتها بالدعوة إلى ما يسمى باللاتفرقية: التسوية بين الأديان في القيمة. فالإسلام بقابليته للتنوع الهائل هو الذى نقل الحضارة الإغريقية إلى أوروبا في عصر النهضة، وكان هو المصدر الذى استقى منه الأوروبيون فلسفة عقلانية تتحدى الدين وتفتح على الرياضيات والعلوم والفنون والتشريعات التى استخدمها الأسبان فى غزو العالم الجديد. وبالتالي فإن (الإسلام الأصولى) يهدد -الآن- (الإسلام الليبرالى)، كما يهدد الأساس الذى استند إليه الإسلام فى تحقيق ازدهاره فى صدر الإسلام وهو: التوليف بين المعرفة

بمرونته وبكمون العيب فى النظام التعليمى وفى التأويل الذى يتبناه وليس فى ذات الإسلام. من ثم يمكن استقراء تعريف إجرائى لمفهوم إصلاح التعليم الدينى الذى يسعى الأمريكيون إلى ترويجه عبر الحلول التالية التى يطرحها الخطاب الأمريكى:

### (1) إطلاق مبادرة عالمية من أجل التعليم:

أصبح من الثابت فى المنظور الأمريكى أن إصلاح التعليم مفتاح للإصلاح الشامل، وهو أساس الفارق النوعى بين الأمم، وقاطرة التنمية بكل أبعادها فى كل أرجاء المعمورة. من ثم يجب التخلّى عن اعتباره شأنًا داخلياً ويجب إقامة: تحالف دولى من أجل التعليم، يتابع الخطط الذاتية التى تضعها كل دولة لتعميم التعليم فيها ويقدم الدعم لتطبيق مبدأ: التعليم الأساسى للجميع<sup>(16)</sup>.

### (2) ضرورة نشر التعليم العلماني الحديث

كأساس لا بديل له لإحداث التحول الاجتماعى فى الشرق الأوسط. ولا سبيل للتفاؤل تجاه مستقبل الشرق الأوسط ما لم تتحول معطيات بيئته إلى معطيات شبيهة بمعطيات البيئة الأوروبية فى مطلع العصر الحديث<sup>(17)</sup>.

### (3) التحذير من ابتغاء الحدائنة من أرضية

إسلامية: الخبرة الأوروبية تثبت خطورة هذا التوجه، كما أن ثورة الاتصال تحتم استبعاده. الأولى أثبتت أن الفكر التقليدى النابع من فكر ثنولى الساعى إلى الجمع فى آن واحد بين مرتكزات الحدائنة (البيروقراطية، وآليات السوق، والعلمانية، والمجتمع المدنى) والتحكم فى كل جوانب الحياة فى المجتمع (لضبط صناعات الحدائنة وإخضاعهم خشية خروجهم من طوق السيطرة) تمخض عن أيديولوجيات نازية وفاشية وشيوعية، وانتهى الأمر بالجدلية الهيكلية إلى تكريس ليبرالية قمعية تقوم على منظور واحد



الخروج من المنزل، حق الخلع، حق حضانة أولادها إذا طلقها زوجها، حق اختيار محل إقامتها. وتقوم فاطمة المرينسي بتفنيد الكثير من التفسيرات الأبوية المتعلقة بالمرأة استناداً على استدرابات أم المؤمنين عائشة على أقوال الصحابة، من أجل إعادة تجديد الإسلام عبر تطوير عقد الزواج وإعادة تفسير النصوص من منظور نسوي قائم على المساواة بين المرأة والرجل. فالحضنة الغربية للإسلام الليبرالي وللحركة النسوية الإسلامية، قد تولد أشكالاً ثقافية جديدة تتفاعل مع التغيرات الحادثة في العالم الإسلامي كما قد تغذى الحركات المحافظة في موطنها الأصلي.

ويخلص إلى أن الشرق الأوسط ليس أرض المطلق ولا هو القطب المضاد لما بعد الحداثة الغربية. فالعالم الإسلامي بات الآن وبشكل غير مسبوق جزءاً من الغرب بالجماليات الإسلامية الغربية، فضلاً عن أن المرتكزات الأخلاقية والسياسية للفكر ما بعد الحداثي نشأت تاريخياً في شمال أفريقيا وانتقلت إلى أوروبا، وكل ما في الأمر أنها تعود منها إلى العالم الإسلامي<sup>(18)</sup>.

## 2- تمهيش المكانة البترولية للسعودية:

يرى بعض المفكرين الأمريكيين أن بوسع الولايات المتحدة الاستغناء عن التحالف مع آل سعود النابع من وزهم البترول ببترو روسيا وآسيا الوسطى، وبإسقاط النظام العراقي الحالي وإقامة نظام حكم موالي لها في العراق. ويحلل الرفضون لخيار القطيعة مع النظام السعودي الحاكم بمزيد من السيطرة على بترول بلدان إسلامية أخرى أن ذلك النظام أخف الضررين في بلد يزداد شعبه ثورية وفقراً مما ينذر بظهور بديل أسوأ قد يكون (طالبان) أخرى، ويدعو هؤلاء إلى الضغط على النظام السعودي الحاكم فحسب لتقليص السلطات الواسعة الممنوحة للوهابيين في نشر مذهبهم في مؤسسات التعليم ودور العبادة ووسائل الإعلام وفي تنظيم بحريات الحياة اليومية بواسطة المطوعين. فأمن

الإغريقية والبيزنطية والفارسية والمصرية وإخراج شئ جديد منها.

ويصل فيشر إلى حد الحديث عن الحج على أنه دمج بين الإسلام والثنية مع إعادة تفسيرها وإلى تسليم القرآن بإمكانية نسخه لمسايرة الجديد في ظروف (ما بعد القرآن). ويوضح ما يقصده بالإسلام الليبرالي بالإشارة إلى أن أشكاله الراهنة هي: الطائفة الإسماعيلية والحركات الصوفية، واللاأدرين من أبناء الطبقتين العليا والوسطى المقيمين في العالم الغربي وفي العالم الإسلامي، والعلمانيين، والحركة النسوية المستنيرة، والدياسبورا الإسلامية العابرة للقوميات التي تنقل العمل ورأس المال والأشكال الثقافية عبر الحدود، ومن أهم رموزه: سلمان رشدي.

وثورة المعلومات تفرض نفسها حتى على الأنظمة الإسلامية المتشددة. ففي عصر الثورة الإيرانية - ورغم أنها - لم يعد المجتمع الإيراني يرى أن الشطرنج حرام، أو أن الآداب والفنون من قبيل اللغو، وراجت السينما والموسيقى وأشرطة الفيديو والبيث الإذاعي والتلفزيوني. وتساقت السعودية على حيازة تكنولوجيا التعليم الإلكتروني لنشر مذهبهم الإسلامي، وقد تستخدمها ضد الأصولية إذا ما اقتنعت بخطورتها على الأمن القومي السعودي.

وتركز الحركة النسوية الإسلامية التي تنمو مع تزايد أعداد المرأة المتعلمة التي تستطيع الانفتاح المباشر على القرآن والسنة على إثبات خطأ التفسيرات الإسلامية الأبوية وإمكانية تحديها من أرضية إسلامية. فعبر الفضائيات تحدت طيبة إيرانية تفسر الرجال لآية قرآنية على أنها تسمح للرجل بالجمع بين أربع زوجات، وأكدت أن الآية المذكورة تمنع تعدد الزوجات، وأن أساس الزواج عقد يمكن للمرأة ولوليها تضمينه أية شروط يتفق عليها الطرفان لحماية المرأة. وشمل عقد زواج إسلامي وعقد في الولايات المتحدة خمسة حقوق للزوجة: حق التعليم، حق

دولار سنوياً لمعالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في العالم في المجتمعات الخاضعة لنظم حكم استبدادية غير مرنة كمصر والسعودية اللتين أنجبتا معظم منفذى هجوم 11 سبتمبر 2001، وتعتمد الولايات المتحدة في تغيير توجهات تلك الأنظمة على تخييرها بين تغييرها بالقوة حال معادتها لها، ودعمها وتقبل التغيير التدريجي في المدى الطويل حال تعاونها مع البرنامج الإصلاحى الأمريكى (22).

إلا أن المفكرين الأمريكين منقسمون بشأن المدى الذى يجب أن يصل إليه الضغط الأمريكى على العربية السعودية. فمنهم من يرى وجوب مطالبتها بالإعلان رسمياً وبصراحة عن إدانتها لكل الحركات الإسلامية المصنفة أمريكياً على أنها متطرفة، وتحقيق انفتاح المجتمع السعودى المغلق بإدخال إصلاح جذرى على النظام التعليمى الذى يهيمن التعليم الدينى عليه ليجد الشباب السعودى مكاناً له في العالم الحديث المتشابك والمتربط بجزارة المهارات العصرية (23). ويرى فريق آخر من المفكرين الأمريكين أن هذه المطالب الأمريكية بمثابة دعوة للنظام السعودى للانتحار السياسى. فتحجيم نفوذ المؤسسة الدينية الوهابية وإلغاء الدعم السعودى للمؤسسات التعليمية سيقوض شرعية ذلك النظام فيما لو أقدم عليه. ذلك أن ترضية ذلك النظام للمؤسسة الدينية السعودية الرسمية بكل السبل هو الثمن الذى تتطلبه شرعيته في مواجهة المعارضة الدينية السننية (التي استفحلت منذ حرب الخليج والتي شكلت ما يعرف بلجنة الدفاع عن الحقوق المشروعة الواردة في الشريعة الإسلامية في المملكة)، وكذا في مواجهة المعارضة المدنية السعودية بالخارج المطالبة بمزيد من الانفتاح على الغرب على حساب الالتزام بالتعاليم الإسلامية. فشرعية النظام السعودى الحاكم واقعة الآن بين سندان المتدينين المحافظين ومطرقة الليبراليين التقدميين، وهو بحاجة إلى الموازنة بين الاعتبارات الداخلية ووصفة الخلاص السياسى والاجتماعى والاقتصادى الغربية (24).

الولايات المتحدة يحتاج إلى ما هو أكثر من البترول الرخيص (19).

### 3- ترويج فكرة تصدير الإسلام الأسوى إلى

السعودية: يرى ناتان جاردليز أن التحديث سيصل إلى السعودية من آسيا، ويقول إن الأمريكين لا ينظرون إلى وراء ولا حولهم، فهم مشغولون بالمستقبل، ويحصل المجتمع الأمريكى بوصفه مجتمع ما بعد النص **Post textual society** على المعلومات من السينما والتلفزيون، ولا تخرقه إلا الصورة. والصورة الراكزة في وعيه عن الإسلام ليست صورة دين يدعو إلى السلام والرحمة والتسامح، بل إلى العنف والغضب والفساد واضطهاد المرأة والطريقة التي يمكن تجاوز هذه الصورة للإسلام بما هي: تصدير الإسلام الأسوى (خاصة التركي) الذي يفصل الدين عن السياسة إلى العربية السعودية (20).

### 4- ربط التعليم الدينى السعودى بالإرهاب:

يصور الإعلام الأمريكى المذهب الوهابى على أنه: البعد السعودى للإرهاب الذى تحتضنه السعودية بالتعاون مع مصر وتصدره إلى العالم عن طريق مدارس هـى فى الحقيقة: مراكز لغسل العقول وإغلاق أبواب التنوير وترويج أيديولوجيا دينية تعد بالخلاص عبر الصراع مع الغرب وإقامة ديكتاتورية دينية معادية لأمريكا وإسرائيل كرمزين للحدائة والديموقراطية، مما يستدعى الضغط الأمريكى على مصر والسعودية واعتبار التحالف معها مؤقتاً وعدم السماح له بأن يكون على حساب المعركة الأمريكية ضد كل شبكات الإرهاب التي بدأت بالحرب ضد شبكة القاعدة (21). والحل هو الترويج الأمريكى لبرنامج تعليمى بديل طويل المدى يقوض شرعية هذا التفسير للإسلام بالاستناد على عصا وجزرة أمريكين. فالسبيل لدعم شرعية وفاعلية هذا التدخل الأمريكى هو: خطة مارشال جديدة تخصص مائة مليار

نسبة الشباب في هذه المجتمعات تعرضها هي والعالم لإرهاب كامن (26).

### المبحث الثاني

#### الخريطة الإدراكية السعودية المصرية للتعليم

##### الديني

تتسم هذه الخريطة بدرجة من التنوع في الصور الذهنية الفرعية المدرجة تحت مظلتها تفوق بكثير نظيرتها الأمريكية، وتتجاوز الداخل السعودي المصري بحكم علاقة التعليم الديني المصري السعودي بالخارج الإسلامي. وفيما يلي وصف موجز لأهم تلك الصور الذهنية الفرعية.

#### أولاً: رؤى المعارضة العلمانية السعودية المصرية

للتعليم الديني: يسلم فريق من المفكرين السعوديين بخطورة التأويل الوهابي الإخواني للدين الإسلامي وبوجود انتشار سرطاني للتطرف الديني السياسي مع تحميل مسئوليته للفكر الوهابي والإخواني بدعم أمريكي إبان الحرب الباردة. ويرى دعاة هذا الطرح أن بذرة التطرف الإسلامي غرست مع سعي السعودية للتصدي للمد القومي الناصري في الخمسينيات والستينيات باستضافة الألوف من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين الفارين من الاضطهاد الناصري، ونقل هؤلاء فكر حسن البنا و سيد قطب إلى السعودية، وبالأخص فكرة الجهاد الإسلامي السياسي وهمنوا على الدعوة وعلى رسم السياسة التعليمية وعلى التدريس في المدارس والجامعات، وربوا جيلاً من الحواريين الجامعين بين الفكر الوهابي والإخواني. وأفسد الإخوان المسلمون المصريون المذهب الوهابي الذي كان قبل وصولهم إلى السعودية مذهباً دينياً لا شأن له بالسياسة، غايته: نقاء الأخلاق وإزالة البدع والأداء الصحيح للشعائر الدينية. ومع تطعيم الإخوان للوهابية بفكرهم السياسي الديني نمت المعارضة السياسية في نسيج المؤسسة الدينية السعودية ببطء لم تدرك السلطات السعودية خطورته الكامنة في المدى البعيد لأنه حدث

#### 5- تكتيف الدور التعوي لوليود: يرى

كبار مسئولو هوليود ضرورة تكتيف دور هوليود في تعريف الناطقين بالعربية بروعة أمريكا وإحسانها إلى المسلمين وتجهيز نفسية الأمريكيين لحرب طويلة الأمد ضد الإرهاب، ولا يرون مبرراً لإدخال أي تعديل على الرسالة الأمريكية الموجهة إلى المسلمين، ولا لتحقيق افتتاح الشعب الأمريكي على الآداب والأفكار والأفلام الإسلامية. فقط ينبغي إفهام الأمريكيين شيئاً واحداً عن ثقافة المسلمين هو: أنهم لا يفهمون إلا لغة القوة، وتوقع الأسوأ من جانبهم، وحذف كلمتي الرحمة والتردد من قاموس التعامل معهم، ورفض تمكين أصحاب الاتجاه الإسلامي من اللعبة الديمقراطية (25).

#### 6- الضغط من أجل إرساء ما يسمى بثقافة

السلام: يسعى الأمريكيون إلى تعديل نمط التعليم الإسلامي المنبثق من المسجد والمؤسسات التعليمية بحيث يتخلص من أي دعوة للمقاومة للأجندة الأمريكية. ويأتي في هذا السياق مطالبة أمريكا للسعودية رسمياً بالتخفيض الفوري لساعات تدريس الإسلاميات إلى وخمس ما كانت عليه من قبل دون مناقشة. ويرى البعض أن الغرب يرصد حالياً كل ما تقوله أجهزة الإعلام ومضمون مناهج التعليم في الدول الإسلامية، ويترجمها بشكل غير كامل ومشوه عن عمد أحياناً، ويؤكد على أهمية تسكين ثقافة السلام في عقول المسلمين ووجدانهم بالتدخل القسري في برامج التعليم، لجعل المسالمة ناظماً للتنشئة الإسلامية في العالم الإسلامي، مع إطلاق العنان للصراع كناظم للتنشئة السياسية في أمريكا وإسرائيل. وعلاوة على ذلك يضغط الأمريكيون من أجل حملة صارمة لتحديد النسل لتخفيض عدد الشباب في المجتمعات الإسلامية بدعوى أن زيادة

ويتهم أصحاب هذه الرؤية الأسرة الحاكمة بالتفريط خلال الثلاثين سنة الأخيرة في الصيغة التي وضعها الآباء المؤسسون للمملكة السعودية، والتي كانت هي محور استقرار النظام السعودي، وأساس هذه الصيغة: شراكة بين الحكومة ورجال الدين تتمتع الأولى فيها باليد الطولى ويسلم الطرف الثانى فيها بأولوية الاعتبارات الدنيوية حالة تعارضها مع الاعتبارات الروحية في تسيير شئون الدولة. وسمحت تلك الصيغة للملك سعود والملك فهد بإتاحة قدر من الحرية الدينية والاقتصادية ومن المكانة للمرأة أكبر مما هو سائد الآن. وأدى اللين الذى أبدته القيادة السعودية في مواجهة المعارضة الدينية التي تربت على يد الإخوان والتي سعت إلى القلب الفكرى السلمى لتلك الصيغة عبر العملية التعليمية، إلى تمكينها لدرجة أصبح من الصعب معها استعادة الصيغة الأولى دون تعريض استقرار النظام السعودى للخطر. وقدمت السلطات السعودية تنازلات سياسية للمعارضة السياسية لم تكن ضرورية وكانت لها عواقب وخيمة شملت: تكثيف التعليم الدينى فى كل مراحل التعليم وفى كل الشعب بما فيها شعب العلوم الطبيعية، وإخضاع تعليم البنات لإشراف المؤسسة الدينية المباشر إلى أن استعادت وزارة التعليم الإشراف عليه مؤخراً فى ربيع عام 2002، ومنح المؤسسة الدينية سلطة رقابية فعالة على كل وسائل الإعلام والشارع السعودى. وكانت الحكمة السياسية تستدعى - فى رأى أصحاب هذه الرؤية - قمع هذه الأقلية الحركية النشطة القادرة على التغلغل وتهيئتهم ومواصلة ضمان ولاء وسكوت أغلبية أعضاء المؤسسة الدينية بالوصفة المجربة المؤكدة النجاح: الرواتب السخية والمزايا والحصانات<sup>(27)</sup>.

وفى ذات السياق يأتى تسليم فريق آخر من المفكرين المصرين بوجود ما يسميه بـ (الحمى الأصولية الإسلامية). إلا أنه يرى أنها نتاج إفساد الوهابية لفكر الإخوان المسلمين، وهذه الحمى ليست إلا حلقة ضمن

ببطء ولأنها توهمت أنها ستظل قادرة على ضبط إيقاعه والتحكم فيه وربما توظيفه لصالحها.

واستدعت المصلحة القومية الأمريكية والسعودية من أواخر السبعينيات حتى سقوط الاتحاد السوفيتى التجنى الأمريكى السعودى المشترك للإسلام السياسى لأغراض ذرائعية. فرأت السعودية أن من مصلحتها الاستفادة من فيضان الدولارات البترولية الذى أعقب حرب أكتوبر 1973 العربية الإسرائيلية فى إنشاء آلاف المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية الدينية والمساجد فى أرجاء العالم الإسلامى وتقدم منح دراسية وإرسال بعثات دعوية لنشر الإسلام ومحاربة العلمانية والشيوعية. ورأت الولايات المتحدة أن ذلك السلوك السعودى يصب فى مصلحتها من روافد ثلاثة: التصدى للمد القومى واليسارى فى العالم الإسلامى، وإزالة الوجود السوفيتى من أفغانستان، وتجميع قدرة إيران على تصدير رؤية ثورتها الإسلامية. وتمخض ذلك عن تحالف أمريكى سعودى باكستانى مهمته تجنيد وتعليم وتسليح وتدريب من سموهم حتى سقوط الاتحاد السوفيتى: المجاهدين الإسلاميين الدوليين، وفى طليعتهم أسامة بن لادن. فأسامة بن لادن وحركة طالبان صناعة أمريكية سعودية باكستانية لم يسقط صناعتها الرهان عليها فى مناهضة السلافية والخطر الإيرانى إلا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، وتم إعدادها فكراً فى مدارس دينية أقيمت فى باكستان بتمويل سعودى وتمقررات دراسية سعودية وعلى يد مدرسين سعوديين.

خلاصة هذه الرؤية أن هناك تطرفاً إسلامياً تولد عبر العملية التعليمية وأصبح خارج طوق السيطرة، يتقاسم المسئولية عنه: الإخوان المسلمون لتسييسهم للوهابية، والسعوديون لتدويلهم للتعليم الوهابى الإخوانى، والسعوديون والأمريكيون معاً لتنشئتهم لمن كانوا يسموهم: مجاهدين دوليين إسلاميين، وباتوا يسموهم إرهابيين.

الديني التي تقتل في الطفل مقومات إنسانيته وتجعل منه جلالاً لا يرحم وتفقد قيم التسامح تجاه الآخر، واتهام المناهج التربوية المصرية بأنها مشبعة بمفاهيم العنف والحرب والبغضاء والظلم، واتهام العديد من المناهج الدراسية العربية بغرس القيم الطائفية وتكريس القيم السلبية عن الآخر<sup>(31)</sup>.

ويحاكي فريق من الناشطات في مجال الحركة النسوية - خاصة في مصر - الأطروحات الأمريكية بخصوص وضعية المرأة في العالم الإسلامي، ويتحدث عن الحاجة إلى تغيير وضعية المرأة من التبعية للرجل إلى المواطنة الكاملة. والسبيل إلى ذلك هو إحداث تحول في نسيج مجتمع الشرق الأوسط ليصير مجتمعاً معاصراً بالمفهوم الغربي، بإزالة العوائق الدينية والثقافية التي تمنع المشاركة المتساوية للمرأة في المجتمع المدني.

ويرى هذا الفريق أن التفاوت في حقوق المواطنة ليس نابعاً من اختلاف بين طبيعة المرأة والرجل، وإنما هو نابع من الشريعة الإسلامية التي تجعل للرجل القوامة على مستوى الأسرة، فتصير المرأة تابعة له على نحو يتكرر في كل الأنساق المجتمعية الأخرى، مما يهمل دور المرأة، ويكرس أوضاع الهيمنة الأبوية خاصة في ظل رواج الأصولية الإسلامية خلال الثلاثين سنة الماضية. والمخرج هو التحول الديمقراطي داخل الأسرة وفي النظام السياسي ذاته، وبلورة رؤية علمانية متحررة من آثار الهيمنة التاريخية للدولة ومن ضغوط الأصولية الإسلامية<sup>(32)</sup>.

ثانياً: رؤى أقطاب الأسرة السعودية المالكة لواقع

التعليم الديني السعودي: ينقسم أقطاب الأسرة السعودية المالكة إلى ثلاثة معسكرات فيما يتعلق بموقفهم من الرؤية الأمريكية التي تتخذ من مفهوم إصلاح التعليم الديني مفتاحاً لأجندة أمريكية ترمى إلى تغيير شامل في طبيعة الدولة السعودية الراهنة:

1- التوجه المحافظ: يرفض أصحاب هذا التوجه

وفي مقدمتهم العاهل السعودي فهد وإخوته الستة الأشقاء المعروفون بالسديريين السبعة نسبة إلى عائلة أهمهم التهم

صراع تاريخي دائم بين: الإسلام النهري المتسامح المرتكز على ثقافة نهرية مستقرة ومتسامحة، والإسلام الصحراوي الناتج من ثقافة صحراوية أحادية العقيدة والفكرة والتفسير، وقائمة على التعصب وكراهية الآخر، واعتبار المرأة مصدراً للشر والغواية. وتضافرت أزمة الهوية الناجمة عن نكسة 1967، ووفرة الثروة البترولية الخليجية الناجمة عن حرب 1973 في تمكين الإسلام الصحراوي من تصدير الأصولية الصحراوية إلى مصر وضرب التسامح الإخواني النابع من بيئة مصر النهرية، وتفعيل الأصولية الصحراوية في كل أرجاء العالم بشعار: الإسلام هو الحل. ولا تزال الثقافة النيلية تعاني من هجمة الثقافة الصحراوية<sup>(28)</sup>، ويصل الأمر إلى حد اتهام البعض للتعليم المصري بوضعه الراهن بأنه شبيه باليورانيوم المستنفد، بما أنه - في رأيهم - يتعامل مع نفايات تربوية وتعليمية تتمثل في طرق تعليم وتقويم ومناهج منتجة لذخيرة بشرية حية مشعة ومدمرة تؤدي إلى إجهاض البحث ومصادرة الإبداع وإلى العيش في خط ورائي ماضوي لا موضع فيه للمفاهيم الحديثة: اللاثبات، اللاتيقن، الاحتمية، النسبية، الحداثة، الوظيفية، المفاهيم السكانية، مجتمع المعلومات ما بعد الصناعي. وشأن هذا التعليم شأن نفايات المفاعلات النووية المنتجة لإشعاع سرطان، فهو يلوث المحيط البيئي الاجتماعي<sup>(29)</sup>.

وتصل الحساسية من التعليم الديني إلى حد رفض فكرة دور الحضارة الإسلامية بدعوى أنها تعرض وحدة الفكر الوطني وتجانس المجتمع المصري للخطر وتسمح لأصحاب العقليات المترتبة بتدريس اللغة العربية على نحو يعجز عقول الأطفال أو يصيبهم بالمغالاة في فهم الدين<sup>(30)</sup>.

ويصل البعض إلى حد اتهام المعارف والعلوم المقدمة في مصر بأنها أحادية التوجه وتمثل صراعاً بين قوى التخلف وثقافة الذاكرة في مواجهة الفكر التقدمي المؤمن بنسبية المعرفة، والتقاط المؤسسة التربوية لجرثومة التعصب الديني، وتغذية التربية في الأسرة العربية بوجه عام لقيم التعصب

3- التوجه البرجماتي: من أهم رموزه الأمير عبد الله ولي العهد السعودي والحاكم الفعلي الحالي للعربية السعودية. ويتحرك هذا الفريق على أربعة محاور: رفض مسئولية التعليم الديني السعودي عن إفراز تنظيم أسامة بن لادن، ورفض مقولة أنه سيفرز: جيل ابن لادن المستقبل، واتخاذ إجراءات لتهدئة الخطاب الديني السعودي مراعاة لمعطيات اللحظة التاريخية الراهنة، وإشراف ولي العهد بنفسه على مراجعة المقررات الدراسية السعودية، والتسويق السياسي لفكرة التعاطي التدريجي الحذر للوصفة الأمريكية التي تمثل مفهوم إصلاح التعليم الديني رأس حربيتها. فلقد أعرب الأمير عبد الله عن تحفظه على المسعى الأمريكي لتوسيع الحملة الأمريكية ضد الإرهاب لتشمل ما وصفه بوش بمحور الشر، وعلى مسئولية الإسلام السعودي والمؤسسة الدينية السعودية عن خلق مناخ ملائم لفكر أسامة بن لادن. وصمم على أن التطرف موجود في كل دين وفي كل أمة وأن صوت الاعتدال يكتسب أرضية أكبر في الوسط الفكري في السعودية وأن من مصلحة الولايات المتحدة الحفاظ على تحالفها معها، وأكد أن التغيير السريع يمس بالتوازن الاجتماعي، والأولى التغيير التدريجي المتواصل إلا إذا اقتضت الضرورة القصوى. فالحاجة إلى التغيير مسلم بما لكي تدخل السعودية القرية العالمية. وأصدر الأمير عبد الله تعليمات للأئمة ورجال التعليم والإعلام والأعمال بعدم المبالغة في الدعوة إلى الوهابية، وتشديد الرقابة على حسابات الجمعيات الخيرية الإسلامية، وتحسين وضعية المرأة السعودية<sup>(34)</sup>.

ثالثاً: رؤية المسئولين عن السياسة التعليمية في السعودية ومصر: تشكل رؤية الأمير عبد الله السالف بيان معالمها الأساسية، جوهر رؤية السياسة التعليمية في السعودية: رفض التهم الأمريكية على صعيد الخطاب مع التغيير التدريجي على أرض الواقع خاصة على صعيد منظومة المفاهيم المساعدة المؤهلة للبيئة السعودية لما يعتبره الأمريكيون (إصلاحاً للنظام التعليمي السعودي). وينذر

الأمريكية ووصفة الإصلاح الأمريكية على السواء، ويتحكم هذا الجناح المحافظ في ميزان القوى السياسية ويوسع فرض إرادته. ويجذر هؤلاء من أى تغيير جذري أو حتى تدريجي بدعوى أنه سيزعزع استقرار النظام السعودي لتغلغل الروح الوهابية في نسيج الشعب السعودي وفي المؤسسة الدينية السعودية، فضلاً عن أن غموض الأجندة الأمريكية يمثل غطرسة أمريكية تطلب من السعودية التحرك إلى الجهول بلا أى إرادة مما يعرض الصورة الإسلامية للنظام السعودي للخطر بتصويره على أنه بات العوبة في يد الولايات المتحدة على حساب الإسلام.

2- التوجه الليبرالي: من أهم رموزه الأمير طلال. ورغم رفض طلال للاهتمام الأمريكي للتعليم السعودي بإفراخ صيغة ابن لادن، وبإمكانية أن يؤدي إلى تنشئة: جيل من أمثال ابن لادن في المستقبل ما لم يتم إصلاحه على الطريقة الأمريكية، فإنه يطرح رؤية تتحد كل مفرداتها مع ترسانة المفاهيم الأمريكية المساعدة التي يعتبرها الأمريكيون من لوازم إصلاح التعليم الديني السعودي. فهو يرى أن بقاء السعودية مرهون باندماجها الكامل في اقتصاد العولمة، وأن مفتاح ذلك هو: إصلاحات جذرية قضائية واجتماعية وسياسية تشمل: إقامة نظام سياسي شفاف، ومجلس نيابي يشرع ويعتمد الميزانية العامة، وتقرير الاستقلال التام للقضاء، والمساواة بين المرأة والرجل، والتخلص من القوانين البالية، وإجراء انتخابات محلية، وإقامة نظام تعليمي حديث متكيف مع احتياجات العصر، وأنسنة العقوبات الجنائية لأن بعضها موروث من عصر ما قبل الإسلام، "ولبرلة" الحياة الاجتماعية (بالسماح بإنشاء دور السينما والمسارح، وحياد الدولة وتسامحها تجاه كل الأديان). ولا يطرح طلال رؤيته هذه على أنها استجابة للمطالب الغربية - رغم وحدة مفرداتها - وإنما على أنها نابعة من روح الإسلام وأساسية لدعم المرتكزات الدينية والسياسية للمملكة<sup>(33)</sup>.

والاستقرار والتسامح والاعتدال في الداخل والتعاون مع العالم الخارجي. فالنهج السعودي الثابت هو الاعتدال، ولا أساس للاهتمام الأمريكي الذي لم يتردد إلا مؤخراً باستهداف النظام السعودي لكثير من الأنظمة العلمانية المتسامحة في العالم الإسلامي وإشاعة الكراهية والإرهاب الأصولي. بل إن التهمة الدارجة للسعودية هي الإفراط في الاعتدال وفي التقرب إلى الولايات المتحدة.

د- لا أساس من الصحة لدعوى تمويل

السعودية لمدارس ودور دعوة تتركس التطرف في كل أرجاء العالم. فالمؤسسات التعليمية والدعوية التي فتحتها السعودية بالخارج أقيمت بطلب من حكومات البلدان المضيفة، وتعمل بترخيص منها وبالتنسيق مع نظائرها الوطنية، وتقدم تعليماً نوعياً شاملاً، وليس دينياً محضاً لشرائح لولاها حرمت من فرصة التعليم.

هـ- لا أساس منطقي لاتهم النظام

التعليمي السعودي حتى على فرض وجود مشتبه فيهم سعوديين في أحداث 11 سبتمبر 2001. فلا مسوغ لاتهم ذلك النظام بالقصور وبتغذية التطرف مجرد اتهام حفنة يسيرة من خريجه الذين ناهزوا الثلث مليون خريج عامي 2001 و 2002 بالتطرف. وإلا فهل يستدعي ذات المنطق القول بخلل نظامي التعليم الأمريكي والبريطاني لوجود متطرفين أمريكيين ولوجود الجيش الجمهوري الأيرلندي؟

و- المرأة السعودية متمتعة بالمساواة مع

الرجل في التعليم. بل إنها تمثل 55% من إجمالي الدارسين بالتعليم العالي السعودي. والدعوة الغربية لتصحيح وضعية المرأة ليست مخلصة، بل

ذلك بأمرين: بداية غرس الازدواجية في النظام التعليمي السعودي وإحداث تناقض بين الواقع السعودي والتعليم الإسلامي. وسيضع ذلك السعودية على بداية طريق سارت فيه مصر منذ الثورة الفرنسية وانتهى الآن إلى ازدواجية للنظام التعليمي تزداد كثافة باطراد على حساب التعليم الديني. وسنستعرض هنا بإيجاز معالم الخطاب السعودي (المدافع عن التعليم السعودي)، والفعل السعودي (تغيير التعليم الديني في أرض الواقع) وموقف المسئولين عن السياسة التعليمية في مصر من التعليم الديني.

1. الخطاب السعودي الراض للاتهمات

الأمريكية: في رد مطول على الاتهمات الأمريكية لنظام التعليم السعودي أكد وزير التعليم العالي السعودي ما يلي:

أ- عدم شرعية إعطاء مفكرين أمريكيين

من أمثال فرانسيس فوكوياما الحق لأنفسهم في الحكم على الإسلام أو تفسيره وتحديد ما يعتبر تأويلاً غير صحيح له لافتقارهم بالقطع إلى المؤهلات اللازمة لذلك.

ب- الوهابية ليست إسلاماً جديداً. إنها

مجرد حركة إصلاحية غايتها فهم القرآن على أنه جملة واحدة بلا أي انتقائية أو تجزئة، والعودة إلى الإسلام في نقائه وبساطته الأولى كما بينه القرآن وصحيح السنة النبوية وحدهما، وإزاحة كل البدع التي تولد العسر في حياة المسلم، ورفض أي وساطة بين الإنسان وخالقه.

ج- الوهابية بالمعنى السالف تحديده

ليست دعوة رافضة للتسامح والتعددية لأنها تقوم على إقران القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية مبدأ التوحيد الخالص بعدم الإكراه في الدين. وسيرة الوهابية في السعودية الخاضعة لها على مدى قرنين من الزمان تؤكد أنها كانت مصدراً للسلام

على المقررات الدراسية فيما يتعلق بمادة القيم والأخلاق، والوثيقة التي أصدرتها عن معالم السياسة التعليمية المصرية خلال السنوات العشر الماضية والتي وصفها وزير التربية والتعليم بأنها شهدت نقلة من القرن التاسع عشر إلى القرن الواحد والعشرين، وافتخر فيها بأنه أول من أرسل مبعوثين إلى الغرب بعد من أرسل رفاة الطهطاوي (36).

**رابعاً: المعارضة الدينية المصرية السعودية:** يمكن التمييز بين صورتين ذهنتين للتعليم الديني من منظور المعارضة الدينية المصرية السعودية: رؤية تدعو إلى مزيد من الأسلمة، وسنسوق لها نموذجين من مصر والسعودية، ورؤية تدعو إلى التغيير في مجال التعليم الديني بهدف زيادة الحصانة الذاتية في مواجهة الأجندة الأمريكية.

**1- المعارضة الدينية السعودية:** ترى هذه المعارضة أن السعودية تعاني من تفریط شديد في مجال التعليم الديني. وتطرح رؤية لواقع ذلك التعليم داخل السعودية، وما يجب أن يكون عليه دور السعودية في هذا الصدد في الداخل والخارج. فلقد جاء في وثيقة عنوانها: مذكرة نصيحة العلماء لحكام السعودية: اتهام العلماء للحكام السعوديين بالتفریط في حق الإسلام، وتركيزهم على الإصلاح الشامل المتشابك مع أسلمة التعليم بكافة أبعاده وبكل قنواته. وعلى مدى ثلاث وتسعين صحيفة تقدم وثيقة

النصيحة الموجهة إلى (خادم الحرمين الشريفين وولادة أمر المسلمين) وصية نواتها كون: الإسلام مخرجاً وحيداً للبشرية جمعاء من أزمته الراهنة، وإنذاراً من تبديل الله نعمته نقمة على المتخاذلين عن القيام بأمر الشريعة، واستبدال المقصرين بقوم غيرهم ليسوا أمثالهم، وقاطرة تنفيذ الوصية وتجنب الإنذار هي: التأصيل الشرعي لثلة من القضايا الأساسية، ورصد واقعها السعودي الراهن، وبيان سبل إصلاحها. وأهم هذه القضايا: دور العلماء والدعاة، والأنظمة واللوائح، والكرامة وحقوق الإنسان،

تنطوى على مبالغة ترمى إلى تصدير النظام القيمي الغربي إلى مجتمعات أخرى لها تصورهما الخاص لما تراه وضعية صحيحة لحقوق الإنسان .

**2- الفعل السعودي:** سبقت الإشارة إلى إجراءات اتخذها ولي العهد على طريق الاستجابة للمطالب الأمريكية على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والدعوى والإعلامي، وهى إجراءات تدخل على واقع يرى أقطاب المعارضة الدينية كما سيتضح لاحقاً أنه بعيد عن صورة السعودية كدولة إسلامية، وتطرح على أنها نابعة من روح الإسلام وليس على أنها استجابة للأمر الواقع، وتشمل: تحديث جهاز الدولة وتحرير الاقتصاد وتنحية الشريعة الإسلامية في مجال المال والتركات والتأمين والعقوبات الجنائية وضوابط الحياة الاجتماعية وحقوق الإنسان وإقامة نظام حديث متكيف مع احتياجات العصر. وكلمة السر المستخدمة هنا هي قول الأمير عبد الله -: ضرورة التغيير لكي تدخل السعودية القربة العالمية، وقول الأمير طلال -: ضرورة وضع الدين في مكانه الصحيح في المجتمع والانخراط بسرعة في معالجة قضايا: الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة والشروع في حوار قومي بخصوص هذه القضايا (35).

**3- رؤى المسئولين عن السياسة التعليمية**

**في مصر:** تدور في مصر منذ عام 1993 رحى حملة مضادة للتعليم الديني بكل رموزه أطلق وزير التعليم المصري إشارة البدء فيها بإعلانه: اختراق التطرف لمناهج التعليم واعتزامه تنفيذ خطة لتطوير التعليم لمحاربة التطرف الفكري بالمدارس، وتحددت وجهة التطوير بالانفتاح البالغ على أنظمة التعليم الغربية عامة وخبراء التربية والتعليم الأمريكيين بوجه خاص، في ضوء الخطاب الإعلامي لوزارة التربية والتعليم المصرية، وأحدث التعديلات التي أدخلتها



والوضع الإداري، والمال والاقتصاد، والمرافق الاجتماعية، والجيش، والإعلام، والعلاقات الخارجية.

1- دور العلماء والدعاة: حمل الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتطلب العلم الشرعي وقيام ما يكفي من أفراد الأمة به، وهو من أعظم الواجبات الشرعية على الفرد والجماعات والدولة. ويستلزم ذلك صدارة العلماء لأهل الحل والعقد، ورجوع الجميع حكماً ومحكومين إليهم وتوفير كل التسهيلات لهم لنشر العلم الشرعي، وتقديم ذلك على كل أنشطة الدولة على اعتبار أن الدعوة إلى الإسلام هي العمل الأصلي للدولة. وقنوات هذا العلم الشرعي هي: المدارس والجامعات والمساجد ووسائل الإعلام الجماهيرى والسفارات واللجان الشرعية في المؤسسات الحكومية.

والواقع الحال مشوب بأحوال يلزم تغييرها ليتمكن العلماء من القيام بدورهم تشمل: هامشية دورهم في الحياة العامة وفي قطاعات بالغة الأهمية كسفن القوانين والأنظمة والإعلام وأنشطة المرافق الاقتصادية والثقافية، وندرة استشارتهم في الشؤون الداخلية والخارجية، وعدم الأخذ برأيهم وعدم نشره مما يهدد بفصل الدين عن مجريات الحياة، وفقدانهم الاستقلال لارتباطهم بمؤسسات حكومية، وحساسية الحكام المفرطة تجاه النقد ولجوتهم إلى أساليب لم تكن معهودة من قبل لعزل العلماء ومنعهم من ممارسة واجبه الشرعي، وقصر ما يذاع من أقوال العلماء وكتابتهم على المواعظ الجزئية مع إحكام الرقابة عليها، وقصر رسالة المسجد على الوعظ العام مع تحجيم الندوات والمحاضرات التي تعالج القضايا العامة في واقع المسلمين، وضعف الدور الدعوى لكثير من مرافق الدولة كأجهزة الإعلام والسفارات والمؤسسات التعليمية التي من المفترض أن يكون نشر العلم الشرعي وبناء الشخصية المسلمة من أهم أعمالها.

وتطالب الوثيقة بالإصلاحات التالية:

— تعزيز دور العلماء وتمكينهم من القيام بواجبهم الشرعي بـ:

- رفع كل القيود التي تحد من حريتهم في التأليف والنشر والفتوى والخطابة وتسجيل الأشرطة وعقد الندوات والحلقات العلمية، وقصر حق السلطات العامة في مواجهتهم على رفع دعوى أمام القضاء الشرعي كجهة فصل وحيدة في تلك المخالفات.
- إفساح المجال لإنشاء هيئات وجمعيات مستقلة للعلماء والدعاة غير مرتبطة بأجهزة الدولة، يشرف عليها علماء الأمة المشهود لهم بالصلاح وتمارس الدعوة ونشر العلم في المرافق الدعوية.
- تعزيز دور هيئة كبار العلماء مع إسناد الترشيح لعضويتها لجهات شرعية وعدم جواز عزلهم إلا لسبب شرعي موجب، وعرض جميع الأنظمة والمعاهدات المراد سنها عليها للتأكد من مطابقتها لأحكام الشريعة قبل إقرارها.
- فتح المجال أمام الدعاة والعلماء من خارج المملكة لإلقاء المحاضرات والندوات والمؤتمرات والحلقات العلمية لتحقيق التفاعل بين علماء العالم الإسلامي.
- تعزيز دور الأوقاف الإسلامية واستقلالها للقيام بواجبها الشرعي، وفصل إيرادات الأوقاف المخصصة لنشر العلم عن ميزانية الدولة، وإسنادها إلى جمعية خيرية للأوقاف يديرها مجلس شرعي من القضاة والعلماء حسب شروط الواقفين.
- إصدار التعليمات لكل قطاعات الدولة، وخاصة التعليم والإعلام والنشر بتمكين العلماء من أداء واجبه الشرعي والأخذ بنصائحهم في كل المجالات، ونشر بيانهم للحق عبر كل الوسائل.
- اعتبار السفارات والقنصليات بالخارج دوراً للدعوة للإسلام وتبليغه للأمم بدعمها بالدعاة المؤهلين والعلماء المتفرغين.

أهل الفقه والاجتهاد، وإزالة كل ما يخالف الشريعة في نظام القضاء والحاكم المعمول به الآن.

- إزالة الانتهاكات الراهنة لكرامة الإنسان وحقوقه والتي تشمل:
- تعرض بعض أعضاء هيئة التدريس والقضاة وموظفي الدولة للعزل أو التجميد دون محاكمة عادلة لقيامهم بواجبهم الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعرض المتهمين للتعذيب والتفتيش والتعذيب وفتح الرسائل.
- افتقار أجهزة الدولة للرقابة والمحاسبة المستمرة.
- انحراف الواقع الإداري والمالي بوضوح عن الشريعة الإسلامية
- منع رعية الدولة من القيام بأعمال جائزة شرعاً في العقود والتصرفات.
- إنشاء لجنة عليا مستقلة لمراقبة حالة حقوق الإنسان، ومراجعة كل الأنظمة لضمان احترام تلك الحقوق، والتوعية الشرعية للعاملين بأجهزة الأمن، وإنشاء إدارة في كل مصلحة حكومية تابعة لهيئة الرقابة لتلقى شكاوى المواطنين وتحريكها قضائياً.
- التربية الجهادية للأمة: تنتقد الوثيقة حالة الجيش السعودي الذي لم يرقم حتى الآن بدور جهادي يذكر في نشر دعوة التوحيد ونصرة المظلومين، ولم يطرأ تغيير يذكر على تسليحه وتجنيد مائة يودى إلى العجز عن حماية النفس مع الركون إلى معاهدات مبرمة مع دول لا يوثق بعهودها، وغياب التربية الجهادية للأمة اللازمة لجعل الأمة جيشاً جهادياً يمكن الاعتماد عليه وقت الحاجة. وتدعو الوثيقة إلى: الاستفادة من خبرة علماء البلاد واستقطاب الكفاءات والعلماء من سائر البلاد الإسلامية لبناء صناعة عسكرية محلية

- الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في تبليغ الدعوة لكل أقطار المعمورة، وإنشاء محطات إذاعية وتلفزيونية خاضعة لإشراف الهيئات الدعوية والشرعية لتعليم أحكام الإسلام باللغات الأجنبية.
- الاهتمام بتعليم أبناء الأقليات الإسلامية بالخارج، وفتح المعاهد والمدارس والكلية الشرعية في بلاد المسلمين المختلفة وتخصيص موارد ثابتة للإنفاق عليها وزيادة المنح الدراسية لمسلمي الخارج لتمكينهم من القيام بدور ريادي في نشر الإسلام في بلادهم.
- إنشاء إدارة متخصصة في الشؤون الشرعية في كل المرافق الحكومية لمراقبة مطابقة النشاط للشرعية وتقديم الاستشارات الشرعية، مع تبقيتها لجهات شرعية مثل: الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء والإرشاد أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو وزارة العدل.
- تدعيم مؤسسات الدعوة وهيئات الأمر بالمعروف مالياً ومعنوياً ووظيفياً حتى تستقطب الكفاءات الدعوية والثقافية مع توسيع صلاحياتها وإمكاناتها التقنية.
- الاهتمام بنشر التعليم الشرعي في الريف والمناطق النائية، ورصد ميزانية خاصة لذلك في الهيئات الدعوية والمرافق التعليمية.
- المراجعة الشاملة للأنظمة واللوائح المعمول بها لتبقيتها من كل ما يخالف الشريعة وإنهاء ازدواجية القضاء، وإنشاء محكمة شرعية عليا للنظر في الدعاوى الخاصة بمخالفة الأنظمة واللوائح للشرعية، وعدم استيراد قوانين من بلاد لا تحكم بشرع الله، ووضع مذكرة فقهية شرعية لكل نظام أو لائحة يتم سننها، وقصر اللجان الخاصة باقتراح الأنظمة واللوائح على

والتطرف والاعتماد الكلي في المادة الإعلامية المقدمة على إصدارات أعداء الأمة وتحليلاتهم.

— العجز عن توصيل الصوت الإسلامي إلى الأقليات الإسلامية والجمهوريات حديثة الاستقلال.

وترى الوثيقة أن سبيل الإصلاح هو تبني سياسة إعلامية جديدة وتشجيع الصدق الإعلامي والتحليل الإسلامي، وإقامة مؤسسات إعلامية خاصة ومجلساً استشارياً للإعلام وإعلاماً مفتوحاً أمام العلماء والدعاة، وتخصيص بث إذاعي يستهدف الدعوة إلى الإسلام، وجعل القضاء الشرعي هو الرقيب الوحيد على هذا الإعلام.

• إصلاح واقع العلاقات الخارجية الراهن المخافي لمبدأ: نشر الدعوة الإسلامية وتوحيد كلمة المسلمين ونصرة قضايهم، حيث يتسم ذلك الواقع بما يلي:

— الفتور في علاقة المملكة بالتوجهات الإسلامية (على صعيد الدول والحركات والأفراد) والتجاهل والتشويه الإعلامي والتقصير في دعم الحركات الملتزمة بمنهج أهل السنة في مواجهة الحركات البدعية التنصيرية.

— مد يد العون لدول تحارب الدعاة وتعرقل نشر الدعوة الإسلامية

— الحرص الشديد على أن لا تتعارض سياسة المملكة مع مصالح الأنظمة الغربية التي تقود حملة العداة ضد الإسلام.

— تذبذب سياسة المملكة تجاه إيران مما يوحى بعدم بناء العلاقات على الثوابت الشرعية والتخطيط الاستراتيجي.

— انعدام النشاط الإسلامي للسفارات السعودية بالخارج، وانتشار ظاهرة توظيف النساء السفارات

والتخلص من كل الارتباطات العسكرية المخلة بسيادة البلاد، وعدم الاعتماد على أية قوة عسكرية خارجية في الدفاع عن النفس.

• إصلاح الواقع الإعلامي الراهن والذي يعيبه:

— تقديس الأشخاص والذوات مما يرسخ النفاق والكذب والمدح المذموم.

— العرض الانتقائي للإسلام وتحجيم المنابر ومحاوله حصرها على من لا يحسنون القيام بحقها.

— فراغ البرامج من المحتوى البناء وشل فاعلية الوسائل الإعلامية وتعطيل القدرات الإبداعية في كل من يتولى خطاب الأمة بسلسلة من القيود والتعليمات الثقيلة.

— التقليل من البرامج الدينية واحتكار الحكومة لوسائل الإعلام.

— حجب الأخبار الصادقة مما يؤدي إلى تلقي الشعب الأخبار من وسائل إعلام معادية.

— ترويج القيم والأخلاق الغربية المناهية للشرعية وتقديمها كنموذج يقتدى مما يكسر الحاجز الاعتقادي بين المؤمنين وأهل الكفر والنفاق.

— إبراز الشرائح الاجتماعية ذات الدور الهامشي في المجتمع ممن يعتبرون اللهو همهم المركزي كالرياضيين والفنانين، والسعى إلى تمكينهم من أذهان الشباب بدلاً من أهل العلم والفكر والإصلاح.

— الإكثار من برامج الأطفال التي تعتمد على الأساطير وتصديق المستحيل والسحر مع غياب البرامج الهادفة للأسرة والمرأة المسلمة.

— التركيز الإعلامي على مجارة الإعلام الغربي في الطعن في الدعاة المسلمين والحركات والمؤسسات الإسلامية والتشكيك فيها ورميها بالأصولية

3- دعاة الاعتدال: النموذج الغربي ليس شراً كله، والانفتاح المنضبط عليه ضرورة شرعية. ومن بين دعاة ذلك من يرى أن غفلة العلماء المسلمين عن إيجابيات النموذج الغربي هي التي تسببت في قلب ميزان القوة لصالحه ضد العالم الإسلامي، وتعكس فشلاً في نقد الذات واستحضار خبرة التفاعل التاريخي للإسلام مع الثقافات الأخرى في عهود ازدهاره التي قامت على مربع: الحوار، النقل، الإضافة، الإبداع. وعبئة خط الرجعة هي: تطوير مناهج التعليم الأزهرى بحيث تجمع بين دراسة العلوم الدينية وفهم الواقع على نحو يرسى أسلوباً للحوار وليس للصدام بين الحضارات. بتعبير آخر، هناك ضرورة للاعتراف بحالة الركود التي نعيشها وبأن مفتاح الخروج منها هو: تغيير مناهج التربية والتعليم بفكر معاصر يجمع بين أصول العقيدة والواقع الجديد ويرتكز على الشفافية والبحث العلمى لاستعادة الثقة بالنفس. ولما كانت دعوة الحوار بين الحضارات تنطلق الآن من وضعية عدم التكافؤ في القوة، ومن تشويهه لصورة الإسلام، فإن الحوار يحتاج إلى مناهج تعليمية تفرخ محاور ذكوى واع بدلالة المصطلحات والمفاهيم وعالم بالقاسم المشترك بين النموذج المعرفى الإسلامى والنموذج المعرفى الغربى وقادر على الكر والفر في هذه المعركة الفكرية، وعلى مخاطبة الشعوب الغربية وتعريشة الإعلام الرسمى المخطط الموجه إليها (39).

خامساً: رؤى الخارج الإسلامى: تنقسم الفعاليات الإسلامية خارج مصر والسعودية إلى فريقين: فريق مؤيد للطرح الأمريكى، وفريق معارض له سواء من منطلق دينى أو من منطلق سياسى.

1- رؤى المؤيدين للطرح الأمريكى: يتبين بعض الزعماء والمثقفين المسلمين مفردات الخطاب

فيها، وصرف أموال طائلة على شراء ذمم وإسكات بعض رجال الإعلام وقادة الأحزاب. وتقتصر الوثيقة إصلاح هذا الواقع بزيادة المنح الدراسية للدارسين بالمملكة من كل الجنسيات لإعدادهم للدعوة، واستقطاب الطاقات الإسلامية من كل أنحاء العالم وتوظيفها لخدمة الإسلام، وإيواء العلماء والدعاة المضطهدين وتوفير الحماية لهم، وإعادة النظر بشكل جذرى في وزارة الخارجية السعودية لتؤدى رسالتها الإسلامية، وتبنى سياسة خارجية ترمى إلى الوحدة الإسلامية وتوثيق العلاقات مع التوجهات الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة (37).

## 2- دعاة تغيير المناهج بمزيد من الأسلمة:

ثمة اتجاه يرى أن العلوم الاجتماعية بحاجة إلى أسلمة كضرورة منهج، وكضرورة حياة. فالمناهج الغربية للعلوم الاجتماعية الحديثة هي مصدر آفات الغرب المزمنة، وثمة توجه غربى لنقدها والتخلى عنها، وهي غير ملزمة لعالمنا الإسلامى، وينبغى الإسراع بالمراجعة النقدية للعلوم الاجتماعية ثم إعادة صياغتها في ضوء بصائر القرآن والسنة النبوية الصحيحة. ولا بد من ربط إصلاحنا لعلومنا بثوابتنا، مع الوعى بثمار النقد الغربى للمادية العلمانية وتجاوزها والاعتداد بالعوامل الروحية، وبثبوت فشل المنهجية الوضعية.

وينبه هذا الفريق إلى صعوبة عملية التحول إلى المنهجية الإسلامية لوجود ثلاث قوى مضادة وإن اختلفت منطلقاتها: متغربون ومتمركسون يرون في ذلك رجوعاً إلى الوراء، ومشككون في مشروعية نقد الغرب دون أن يكون لدينا أولاً علوم مناظرة لعلومه إن لم تتفوق عليها، يرون أن نوايا الإسلاميين بترولية نفعية، ومتباكون على بطء حركة الأسلمة راغبون في أن تتم في غمضة عين غير مكثرئين بسنن الله في التدرج في إعادة البناء الذى هو أصعب من الإنشاء الأصيلى لأنه يستلزم إزالة الركام ثم البناء (38).

مسلمون مما يضع الكويت على شفا بركان في (بحثها عن الهوية) (41).

ج- التحرر من المعرفة الحفرية: يرفض منور أنيس مقولة إن الإسلام هو (الأخر) غير القابل للوفاق مع بقية البشر الذي ينبغي محاصرته ومحاربه إلى الأبد. فلقد سبق للإسلام أن أقام في أرض الواقع نموذجاً فريداً في احترام التنوع والتسامح، إلا أنه يرى أن الداخل وليس الخارج هو السبب في منع الإسلام من استعادة مكانته مرة أخرى. ويشبه صورة الإسلام بديناصور يقال أنه نما إلى أن صار حجمه غير طبيعي فعجز عن التغيير فانقرض. فجمود العقلية الإسلامية في الحنين إلى الماضي التليد بتفكير عقيم معزول عن المتغيرات العصرية ومحض ضد التغيير والتطور متناسياً سنة الله في عدم تغيير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، هو السبب الأهم في تمكن هوليد وبعض المفكرين الغربيين من تخليق صورة شيطانية له وترويجها وإعادة إنتاجها. والمخرج هو التخلي عن العقلية الحفرية التي ترسى عليها هوليد ووسائل الإعلام الغربية صرح صورتها المزيفة للإسلام. والعالم الإسلامي -في رأيه- ليس في حرب مع الغرب، بل مع نفسه، فهو منخرط في عملية إبادة للذات. والمخرج هو "استعادة الحرية والعدالة لربوع الإسلام كأساس للشراكة في عالم جديد مبني على رحمة الله، في عصر ما بعد النصوص" (42).

د- اتهام العلماء المسلمين بالتسبب في التخلف:

يرى محمد مهاتير: في حوار يسأله فيه ناتان جاردنيلز عن: متى ينهض (الإسلام العربي) من سباته العلمي؟ وما سر تخلف (الإسلام العربي)؟ أن الذي يقف في طريق التحديث هم من يسمون أنفسهم: علماء الإسلام وغايتهم ترويج أجندتهم السياسية بالانفراد بالحكم دون سواهم وهؤلاء العلماء المسيسون هم سر تخلف المسلمين. فالإسلام كان في أوج ازدهاره حضارة العلم والمعرفة وجمع في جعبته: الفلسفة والعلم والرياضة التي بدأها الإغريق. ولكن

الأمريكي فيما يتعلق بإصلاح التعليم الديني السعودي المصري. ومن نماذج ذلك:

أ- ربط ظاهرة بن لادن بنوعية التعليم وغياب الديمقراطية: يقارن أنور إبراهيم بين سلوكيات الأثرياء المسلمين في عصر الازدهار الإسلامي وسلوكياتهم في عصر الانحطاط الراهن. أثرياء العصر الأول أنفقوا أموالهم في تمويل: مؤسسات التقوى وفي مقدمتها: الجامعات والمستشفيات ورعاية العلماء والفلاسفة والأدباء من أجل ازدهار التعليم والإبداع. أثرياء العصر الثاني، ونموذجهم أسامة بن لادن، ينفقون أموالهم في: القتل. فما هو تفسير هذه الظاهرة؟ غياب الديمقراطية. فأسامة بن لادن وأتباعه نتاج اليأس. فهم طبقة مهنية جديدة قادرة على العطاء تنمو عاماً بعد عام دون أن تجد فضاءً سياسياً للتعبير الحر عن همومها، بسبب هيمنة الدولة، وانعدام إمكانية التغيير بالوسائل السلمية وغياب المجتمع المدني، والتعاون الغربي مع الحكومات المستبدة القائمة في كثير من البلدان الإسلامية على حساب أي فرصة لنمو الحركة الديمقراطية الوليدة (40).

ب- ضرورة الفصل بين الدين والسياسة وتحجيم

الحركة الإسلامية: يتحدث الشيخ سعود ناصر الصباح وزير البترول والإعلام الكويتي السابق عن: خطف الحركة الإسلامية للعالم العربي باستخدام الإسلام كمجرد غطاء لأجندتها السياسية، ويرى أن القاعدة الأم للحكم في العالم كله وفي الكويت بخاصة يجب أن تكون: فصل الدين عن الدولة. ويعنى على العالم العربي ما يسميه بفرض الدين نفسه على السياسة. والحل برأيه هو: الاستبداد في مواجهة الإسلاميين. ومن غير الحكمة أن تترك لهم فرصة النمو وتكوين اتحادات وفروع ولجان. فهذه الجماعات ذات عضلات مالية قوية. والمال هو الشريان الأساسي لنفوذها. ولذا يجب إخضاع مصادر تمويلها للرقابة والتحكم فيها، وتقليص أنشطتها الخيرة في ظاهرها. ويتهم الحكومة الكويتية الراهنة بأن أغلبية أعضائها سلفيون أو أخوان

التحيز ضد المرأة بالمقاييس الغربية. ولا صحة لمقولة أن التصدي للثقافة الإسلامية أساس لمنع الانفجار السكاني، بدعوى أن معاداة تلك الثقافة تؤدي إلى نمو سكاني سريع في العالم الإسلامي. فالمقارنة بين الزيادة السكانية في العالم الإسلامي في السبعينيات والزيادة السكانية الآن تكشف عن انخفاض كبير في المعدل الإجمالي للخصوبة الإنجابية في كل الدول الإسلامية، في فترة أقصر بكثير من التي تحقق ذلك فيها في أوروبا وأمريكا اللاتينية. ولا وجه للصحة أيضاً في مقولة الحدود الدائمة للإسلام. فلقد كشفت دراسة لجونتانان فوكس نشرت مع مطلع الألفية الثالثة، أن نسبة انخراط المسلمين في صراعات مع غير المسلمين منذ الحرب العالمية الثانية لم تصل إلى الربع وهي نسبة تناهز نسبتهم إلى سكان العالم، رغم طول حدود العالم الإسلامي الأفريقية والأوروآسيوية التي تجعله في اتصال وثيق ومكثف مع الحضارات الغربية والأفريقية والأرثوذكسية والهندوسية والبوذية، فضلاً عن الحدود الداخلية للتجمعات الإسلامية داخل الدول غير الإسلامية والتي تزيد على ثلث مسلمي العالم. ومن الجاف للمنهاجية العلمية الزعم بأن الإسلام معادٍ للقيم الديمقراطية، وبأن التقاليد الثقافية الإسلامية تسببت في عدم استفادة الشرق الأوسط من موجتي التوجه الديمقراطي اللتين هبتت رياحهما مع تصفية الاستعمار التقليدي ثم مع نهاية الحرب الباردة. فالتصنيفات الغربية في هذا الصدد متحيزة، ولا تظهر حقيقة تخوف الغرب من أن يؤدي التحول الديمقراطي في العالم الإسلامي إلى وصول الإسلاميين إلى السلطة وتغيير قواعد العلاقة معه، وإقدامه بالتالي على تقديم العون المادي والمعنوي والمخابراتي لأنظمة حكم استبدادية للتصدي للمعارضة الإسلامية، فضلاً عن سماحه لروسيا بالتصدي للديموقراطية في آسيا الوسطى لتحجيم النفوذ الإسلامي هناك.

القضية إذن ليست الخطر الإسلامي على الولايات المتحدة، وإنما المجاهدة التي تفرضها أمريكا على الإسلام

علماء المسلمين بدأوا بعد ذلك يدعون إلى "تعليم الدين وحده ولا شيء معه" وأصبح هؤلاء العلماء جاهلين بالعلوم الطبيعية وبالدين ذاته أيضاً. وكلما بذلت محاولة للحاق بركب الدول غير الإسلامية في مجال التنمية أجهضتها جماعات تدعو إلى (العودة إلى الإسلام) تعلن الجهاد ضد حكومات بلادها التي تحاول التطوير والتنمية، كما حدث من جانب الإخوان المسلمين في مصر، ومن جانب الحركة الإسلامية في أرجاء العالم، والوهابية تمثل تفسيراً متشدداً للإسلام، ولكنه ليس هناك دليل في رأيه على أن السعوديين يسعون إلى ترويح الفكر الوهابي في آسيا<sup>(43)</sup>.

## 2- رؤى المعارضين للطرح الأمريكي:

يفند بعض المثقفين المسلمين علاقة التعليم الديني ومشكلات الإرهاب العالمي ومشكلات الداخل الإسلامي. وفيما يلي نماذج لذلك:

### أ- تفنيد علاقة التعليم الديني بمشكلات

**الداخل الإسلامي:** يرى بعض المفكرين الإسلاميين عدم صحة الاتهامات الأمريكية للتعليم الديني ويدللون على زيف ارتباط الإسلام بالتخلف الاقتصادي بأن العالم الإسلامي يواجه مشكلات اقتصادية خطيرة، إلا أنه ليس أسوأ من غيره بالمقارنة. بمن كانوا تاريخياً في مثل وضعه في النمو الاقتصادي على صعيد: المساواة بين المرأة والرجل وتطوير مؤسسات الحكم الديمقراطي وإقامة علاقات سلمية مع جيرانهم. فمعدل النمو في نصيب الفرد من الدخل مع مطلع الألفية الثالثة في مصر وإيران واندونيسيا أعلى منه في أوكرانيا وفنزويلا والهند، وشبه متساوٍ بالنسبة لباكستان والهند وتركيا وروسيا، وحقت 22 دولة إسلامية مراكز تتراوح بين 32 و100 على مقياس مؤشرات التنمية البشرية. ورغم تدهور مرتبة باكستان فإنها سبقت الكثير من الدول غير الإسلامية.

وجاءت السعودية في نفس مرتبة النرويج وفنلندا في الإنفاق على التعليم. ويخلو نصف الدول الإسلامية من

وحده وبوحدة الرسالة ووحدة الأسرة البشرية، والحريّة الدينية وكرامة الإنسان. ومحمد بن عبد الوهاب مصلح لم يطلب من أحد الجمود عند ما قاله من قرنين، والسعوديون لا يقولون أبداً: (نحن وهابيون)، بل يقولون: (نحن مسلمون). فقط يدرسون فكر محمد بن عبد الوهاب في مدارسهم. واعتقاد بعض العلماء السعوديين أن المذهب الوهابي هو أصح المذاهب وأنه ليس بحاجة إلى تعديل يولد موقفاً فصامياً لأن الوهابية ترفض الكثير مما يفعله القادة السعوديون الذين يثيرون ضجة على قيادة المرأة للسيارة (46).

### الخاتمة

ماذا بعد وصف الخريطة الإدراكية الراهنة للتعليم الديني السعودي المصري؟  
الوصف خطوة تسبق التقييم، الذي هو شرط القدرة على التنبؤ. بمستقبل الظاهرة محل البحث. ولم تتطرق هذه الدراسة إلى هذين المستويين، بل إنما وقفت عند حد وصف الظاهرة من خلال الخطاب وبعض الوثائق المحدودة التي تيسرت، فوصف الظاهرة في عمقها يحتاج إلى تحليل لحتوى المناهج الدراسية في مصر والسعودية، على الأقل في مرحلة ما قبل الجامعة، فضلاً عن تحليل الخطاب الديني بكل قنواته. إلا أن هذه الدراسة يمكن أن تقدم مجموعة من الفرضيات البحثية التي يمكن اختبارها في دراسة معمقة تطول الأبعاد الثلاثة للتحليل: الوصف والتقييم والتنبؤ، وذلك في ضوء الملاحظات التالية:

1- مفهوم التعليم الديني مفهوم أجنحة بالنسبة لكل أطرافه، وهو مفهوم يعرف شبكة علاقوية غاية في التعقيد خاصة في الداخل الإسلامي حيث لا يزال الغرب يصدر منظومة هذا المفهوم إلى داخل نسيج المجتمع الإسلامي، مع التنوع في الموقف من

برؤيتها لذاها كقوة تحضر فائقة القدرة، تبشر بنموذجها في مواجهة حضارة إسلامية جريئة مهمشة، تشعر بمهانة الخضوع للهيمنة الغربية منذ قرنين من الزمان. وينبئ تفاقم الحماس التبشيري الأمريكي الراهن، والقناعة الأمريكية بالقدرة على إلحاق الضرر بالغير دون تكبد خسائر بشرية تذكر، والفشل في مواجهة صيغة بن لادن السرية الشبكية اللامركزية، أن يميل صانع القرار الأمريكي إلى المعسكر الداعي للصدام مع الإسلام مع التركيز في السعي إلى تدمير العالم الإسلامي على أهداف محددة ملائمة يسهل استهدافها كأظمة الحكم وقنوات التعليم الإسلامي. ولن يحقق ذلك لأمريكا الأمن ولا السلام، إنه قد يثبت للعالم أنها قوة لا نظير لها، ولكنه لن يثبت أنها قوة يههما: احترام القيم الحضارية (44).

ب- التشكيك في النوايا الأمريكية: يلفت حسن الترابي النظر إلى أن الولايات المتحدة وظفت الحركة الإسلامية أثناء الحرب الباردة، ولكن مع استمرار ترويج الصورة السلبية للإسلام، وأن التطرف الذي تقع فيه بعض عناصر الحركة الإسلامية ما هو إلا رد فعل للتطرف الأمريكي. ومع ذلك فإن بالغرب قطاعات محبذة للحوار المثمر مع الإسلام بدلاً من استهدافه بضربات وقائية، وتعي هذه القطاعات حقيقة أن معظم الحركات الإسلامية عادلة وأن عدالة الإسلام وإنسانيته كفيلتان بإنشاء حيز مشترك بين الإسلام والمثالية الديمقراطية الغربية، وأن الحوار القادر على إفراز الاعتدال هو الحوار الذي يكون هدفه فتح آفاق جديدة للتعايش وليس احتواء الإسلام. ولب المعضلة الراهنة ليس رفض الحركات الإسلامية للديموقراطية وإنما إصرار الولايات المتحدة على عدم التسامح معها حتى لو تبنت العمل الديمقراطي السلمى (45).

ج- التمييز بين الإسلام والوهابية، وبين سلوكيات السعوديين والوهابية: يرد البعض على الاتهامات الأمريكية بأن الإسلام عقيدة واحدة أساسها: الإيمان بالله

التمييز العنصري)، وبات التركيز الآن على حماية المرأة داخل الأسرة وتقرير أولوية حقوقها الفردية السياسية والاقتصادية والاجتماعية على مسألة الاستقلال الذاتي للأسرة<sup>(49)</sup>.

4- يستدعي الغرب رؤية صراعية، من قبيل استخدامه لمفهوم الحرب العادلة الذي برر به الكاثوليك من قبل الحرب الصليبية، مع عدم الإشارة لكلمة العدالة إلا في وصف الحرب في مقابل الإلحاح على مفاهيم الحرية والروح الفردية والقيم الأمريكية وشرعية منظومة القيم الأمريكية.

5- ثمة رفض للأجندة الأمريكية من منطلق غير ديني في العالم الإسلامي خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حيث تحدث الكثير من المفكرين عن: تآكل الحلم الأمريكي وإفلاس مشروع قيادة أمريكا للعالم وتهددها للاستقرار العالمي، لأن أجندتها أجندة هيمنة وليس إصلاحاً دينياً. فهي تضافر بين الأيديولوجية المحافظة الجديدة واللاهوت اليميني المسيحي الأمريكي من أجل تدخل أمريكي يعيد تشكيل خريطة الشرق الأوسط، وتأخير انحدار الهيمنة الأمريكية<sup>(50)</sup>.

#### هوامش الدراسة

1. انظر على سبيل المثال: أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، القاهرة، دار التراث العربي للطباعة والنشر، 1975، ص 126 - 135، د. رؤوف شلبي، إن الدين عند الله الإسلام، القاهرة: مؤسسة روز اليوسف، 1988، ص 12 - 23.

وشهدت القرون الثلاثة المنصرمة تفاعلاً بين المنظور الغربي (من موقع الفعل) والمنظور الإسلامي (من موقع رد الفعل) لمفهوم الدين تجسد أولاً في حركة تجديد فقهي نابذة للتقليد وداعية إلى تفعيل الاجتهاد كالحركات الوهابية والسنوسية والمهدية، وتجسد ثانياً في: مدرسة الإصلاح المؤسسي في تركيا ومصر والتي أنشأت (مؤسسات بديلة)

العلمانية بين مؤمنين بفاعليتها، ومتخوفين من أن تكون مطية لحو الشخصية الإسلامية<sup>(47)</sup>.

2- مفهوم الفصل بين الدين والسياسة في الغرب حديث النشأة ومتعدد الأشكال. فالأصل في فكرة الجمع بين الوحدة والتعدد المراعى للخصوصيات الفرعية للمجتمع السياسي الغربي كان هو العقد الديني بين الله وبين إسرائيل حتى أواخر القرن السابع عشر في أوروبا، وأواخر القرن الثامن عشر في الولايات المتحدة، ولا تزال هناك درجة من التشابك بين الدين والدولة في الغرب حتى الآن. ولم يتفق الغرب على مدلول معين للمقصود بالفصل بين السياسة والدين، بل انقسم إلى خمسة توجهات في هذا الصدد تشمل: ترويح المجتمع العلماني وإزالة الدين، واعتماد كنيسة رسمية مع إتاحة الحرية الدينية للكنائس الأخرى، ومساندة الدولة المتساوية لكافة الكنائس مع جعل يد الدولة هي اليد العليا، وتحرير الدين من قيود الدولة، وإعطاء حقوق متكافئة لكافة الأديان. ولا يزال هناك معضلة في الغرب بخصوص: حدود التنوع الديني. ولا يزال بالغرب من يرفضون فكرة النسبية المطلقة، ويؤكدون ضرورة استبعاد فكرة اعتبار الفهم الغربي لحقوق الإنسان هو الخيار الوحيد المتاح والمقبول، ويرون ضرورة اعتبار الكرامة الإنسانية ناظماً لحقوق الإنسان<sup>(48)</sup>.

3- لا حدود للذرة التفتيتية للنموذج الغربي فيما يتعلق بأجندة إصلاح التعليم الديني. وعلى سبيل المثال فإن ما يسمى بإصلاح وضعية المرأة وصل في بعض الدراسات الغربية الآن إلى حد الحديث عن حماية المرأة من طفلها أو بالأحرى من أن يكون حق الطفل على حساب حقها في المساواة مع الرجل، وسُمى زواج الفتاة الصغيرة (نوعاً من الرق)، واعتُبرت عدم التسوية بين المرأة والرجل في الميراث وحقوق الملكية والخدمة العسكرية (نوعاً من



السيد عمر، مقدمة في نظرية السياسة الخارجية، الإسكندرية: منشأة الشنهي للطباعة، 2002، ص 30 - 36.

3. M. shahid Alam , How different are Islamic societies , Asian Affairs , March 2002 , <http://www.asianaffairs.com/Terrorism2.htm>

وانظر أيضاً: جون اسبوستو، الخطر الإسلامي، أسطورة أم حقيقة، ترجمة د. السيد عمر ومختار متولى، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، 1994. فرغم ما هو شائع عن الطرح الذى قدمه هذا المفكر فإنه لم ينف عن الإسلام صفة الخطر، بل نفى وجود خطر إسلامي موحد، وأشار إلى إمكانية تعميق وتوظيف ما يعتبره تنوعاً وتجزؤاً في الظاهرة الإسلامية في تحييدها بشكل ذاتي وفي ذات الوقت فإنه لم يعارض المفردات الأمريكية المطروحة كشرط لاعتبار التعليم الديني الإسلامي مقبولاً، وأشار إلى أن القابلية الإسلامية لا تزال عالية لدى الجماهير الإسلامية وأن الأفكار العلمانية لم ترسخ إلا في أذهان النخبة الحاكمة، وأن النخبة تشهد الآن تحولاً يبنى بنشوء نخبة إسلامية تتخذ من التربية الإسلامية والعمل الخيري الإسلامي قاطرة لأسلمة المجتمعات الإسلامية. ولا يتردد عن استخدام مفاهيم مثل: المخاطرة باختطاف الديمقراطية، أسلمة الديمقراطية، السعي إلى ديمقراطية خالية من المخاطر، التهديد الإسلامي الكامن للرضا الذاتي الغربي عن المادية والليبرالية (المرجع السابق ص 237 - 262)، وتجاوز علمنة الإجراءات والمؤسسات إلى علمنة الأذهان والثقافة (المرجع السابق ص 16) خلاصة القول إن دعاة الاعتدال والتكيف يراهنون على: مرونة الإسلام، ويسلمون بشرعية تصدى الغرب للحركة الإسلامية التي لا تقبل العمل من داخل النظام العالمى. انظر فواز أ. جرجس، أمريكا والإسلام السياسى، ترجمة سعود عطية، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، 2000، ص 19 - 32، ص 173 - 182

4. Harlan ullman , Unfinished Business , Afghanistan , the Middle East , and Beyond: defusing the Dangers that Threaten America's Security, New York, Kensington publishing crop, 2002, pp.198 - 204

5. انظر: فواز جرجس، مرجع سابق، ص 24 - 28.

6. Saudi time bomb , Religions textbooks , [http://w9.klifo/wgbhfoRazesfrontline/show/Saudi madrassas / etc / textbooks. html](http://w9.klifo/wgbhfoRazesfrontline/show/Saudi%20madrassas/etc/textbooks.html) & [http://p6s - frontline: Saudi time Bomb analyses wahabism. html](http://p6s-frontline:Saudi%20timeBombanalyseswahabism.html)

ويتحدث برنارد لويس عن عيوب في البنية المفاهيمية للإسلام تنبع منها جذور السخط الإسلامى. فمهمة جنود الله في الإسلام هي: سرعة إرسال أعداء الله إلى الله ليتولى تأديبهم

على غرار المؤسسات الغربية مع الإبقاء على المؤسسات القديمة وغرست بذلك بذرة الازدواجية في النظام التعليمي، وتفاقت تلك الازدواجية مع تحظى تقليد الغرب في العلوم الطبيعية إلى تقليده في العلوم الإنسانية مع مصادرة النفوذ الأوروبي أى إمكانية للتفاعل بين المؤسسات التقليدية والمؤسسات المستوردة، وتجسد ثالثاً بتعميق الاستعمار لتلك الازدواجية خاصة في مجال القانون والتعليم على نحو استحاله معه التخلص منها بعد القضاء على الاستعمار التقليدى حيث أفرز المسعى الاستعماري توجهات داخل نسيج المجتمعات الإسلامية مؤمنة بضرورة تمهيش الدين وحصره في نطاق الحياة الخاصة والفصل بين الدين والسياسة. ولا تزال علاقة التبعية قائمة بين الغرب والعالم الإسلامى، وتدور العولمة كأحدث حلقاتها حول علمنة العالم الإسلامى، وتوجيه كل أصابع الاتهام في مشكلات الداخل الإسلامى، وفي توتر العلاقة مع بقية العالم غير الإسلامى إلى ما يسميه الغرب: التعليم الديني الإسلامى. انظر على سبيل المثال: المستشار طارق البشرى، الملامح العامة للفكر السياسى الإسلامى في التاريخ المعاصر، القاهرة: دار الشروق 1996، كليمنت م. هنرى، روبرت سيرنجبورج، العولمة وسياسة التنية في الشرق الأوسط، عرض: د. السيد عمر، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، 2002.

2. لب تحليل الصورة الذهنية والنسق الإدراكي للظاهرة هو: وصف الكيفية التي تعمل بها آليات الإدراك المعرفي ورصد أهم المتغيرات ذات الصلة بتشكيله والفرضيات الفلسفية الأساسية لظاهرة التعليم الديني السعودى في منظور الأطراف المعنية بها. والفرضية الأساسية التي يركز عليها هذا التحليل هي: سعى الأطراف المعنية بأى ظاهرة سياسية إلى التناغم الإدراكي المعرفي بالتعامل مع المعلومات الخاصة بها بشكل انتقائي ونبذ وتشويه أى معلومات تمز ذلك التناغم وتؤثر على قدرته على البقاء. وتعبير آخر، حرص كل الأطراف على الاتساق اللاعقلان للصورة بالإدراك الانتقائي وبالتأويل التحيز، وبحيث يصير ميزان العلاقة بين الأطراف هو: تصور كل منها للفرص والمخاطر الناجمة عن التغيير الذاتى، أو المفروض، الجذرى المفاجئ، أو التدرجى، الجزئى أو الشامل، والاختيار من بين بدائل أربعة: دعم الصورة الذهنية، التسوية، تحويل عبء المسؤولية إلى طرف آخر، الرضوخ لإرادة الآخر انظر في تفصيلات هذه المنهجية: د.

time / world / article o. 5599 / 331980 - 4.400  
html

13. ريتشلرد لايفيير، دولارات الإرهاب: الولايات المتحدة والإسلاميون، 1999، عرض: سليمان عبد الغفار، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، 1999، ص 12 - 21.
14. يوسف بودانسكي، بن لادن، الرجل الذي أعلن الحرب على أمريكا، عرض د. السيد عمر، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، 2000، ص 9 - 10. ويحمل الأمريكيون الفكر الوهابي الإخواني مسئولية إحياء الحركة الإسلامية داخل إسرائيل وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة بعد حرب عام 1967. انظر:

**Alisa Rubin Peled , Debating Islam in the Jewish state: the development of policy toward Islamic Institutions in Israel , New York , State Univ. , of New York press , 2001 , pp. 117 – 141.** وانظر أيضاً:

**Richard lowery, op. cit , p. 20**

**15. Richard lowery, the Saudi Choice, National Review, 20-5-2002, pp. 18 - 19.**

16. أمارتياسن، لا تكفي مقاتلة الشر بل يجب تحقيق أهداف إيجابية أيضاً، الشرق الأوسط، القاهرة، 2002/5/3.

17. ستيفن هايدمان (محرر) الحرب، المؤسسات، التغيير الاجتماعي في الشرق الأوسط، عرض: سعود عطية، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، 2002 ص 8 - 12، ص 36.

**18. Michael M.J. Fisher , Islam: The odd civilization out ?, http: //www. digital npq. org / archive / 2002 - winter / Fisher. html.**

**19. Christopher Morris & Romesh Ratnesar, op. cit ,**

20. ويرفض جارديلز الدعوة إلى (نظام إعلامي جديد) تلتزم وسائل الإعلام العالمية بموجه بمزيد من الموضوعية في تصويرها للإسلام بدلاً من إلقاء مسئولية الضعف الناتج على الآخر، ويشير إلى تأييد مهاتير محمد وبرويز مشرف له في أن رفض العلمانية والحرص على (العودة إلى الإسلام) وراء تخلف المسلمين، وأن الحل هو: اتحاد المسلمين في النضال ضد الفقر والتخلف وليس ضد الحداثة. فلا يعقل أن تخرج كل الأمة الإسلامية حملة دكتوراه سنوياً يمثلون ثلث ما تخرجه بريطانيا وحدها فقط. ويخلص جارديلز إلى أن: إحياء الإسلام إذا قدر له أن يحدث، فإنه سيأتي إلى السعودية من آسيا في الاتجاه العكسي لمسار انتشاره الأول. انظر:

**Nathan Gardels , Modernization will arrive in Saudi Arabia from Asia , http: // www. digital npq. org / archive / 2002 / spring / gardels. html** ويدعم الإعلام الغربي هذه

بنفسه، وطوق النجاة من هذه البنية هو تفعيل مبدأ الحكومة المدنية وفصل الدين عن السياسة، لأن الإسلام والغزو المغولي متماثلان. انظر: برنارد لويس، إدوارد سعيد، الإسلام الأصولي، عرض د. السيد عمر، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، 2000. ويسوى دونالد بيترسون بين أي حكومة ذات أساس إسلامي وبين الاستبداد وعدم التسامح وانتهاك حقوق الإنسان. انظر: دونالد بيترسون، داخل السودان: الإسلام السياسي والصراع والكارثة، عرض د. السيد عمر، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، 2000. وقارن مع شرطي المعرفة العلمية لثقافة الآخر في رأى إدوارد سعيد (حرية البحث دون إكراه ولا خداع، وعدم الانطلاق من كراهية ثقافية مسبقة) وتأكيده عدم وجودهما في الغرب مما يؤدي إلى وضع المفكرين عقولهم في خدمة السلطة وأصحاب المصالح الأخطبوطية وليس في خدمة المعرفة النقدية ذات الحس الإنساني الأخلاقي في: برنارد لويس، إدوارد سعيد، مرجع سابق. وانظر أيضاً:

**http: // www. digital npq. org / archive / 2002 / winter /Huntington. html. Samuel Huntington , Osama bin Laden has given common Identity Back to the west.**

7. **http: // www. digital npq. org / archive / 2002 spring / al ankary html**

8. **Ibid**

9. **Harlan ullman, op. cit , p. 242.** وانظر أيضاً: don Morgan , David B. Ottaway , the Friend of my Enemy is ... , the Washington Post National weekly Edition , oct. 1 – 7 , 2001 , p. 18.

10. **Saudi time bomb , Religions textbooks , http: // w 9. klifo / wgbhfo Razes / - frontline / show / Saudi madrassas / etc / textbooks. h t ml& http: // p6s - frontline: Saudi time Bomb analyses Wahabism. html** وانظر أيضاً:

**Terrorism: questions & Answers , council on foreign Relations in cooperation with markle foundation , http: // www. terrorism answers com / Galition / Saudi Arabia 2. h t mi. & http: // www. terrorism answers. com / causes / Regimes 2. html.**

11. **Roleau Eric, Trouble in the Kingdom , Foreign Affairs, July / August 2002 , vol 81 , issue 4 , pp. 75 - 90**

12. **Bill Powell, is Saudi Arabia headed for a fall, fortune, 10 /12/2001.** وانظر أيضاً:

**Christopher Morris & Romesh Ratnesar , a crude oil tank in Saudi Arabia , do we still Need the Saudi ? h tt p: // www. time. com /**

- التعليم وخصوم التطوير، الأهرام 2002/6/20، سامي خشبة، عن التعليم والتنمية في مجتمع المعلومات، الأهرام 2002/1/15.
30. د. مصطفى الفقى، التعليم من الكتاب إلى الجامعات، الأهرام 1999/10/19.
31. انظر على سبيل المثال: د. شبل بدران، ضرورة تغيير نظام التعليم، كتاب الهلال، فبراير 2002، ص 16 - 23، د. على أسعد وطفة، د. عبد الرحمن الأحمد، التعصب: ماهيته وانتشاره في الوطن العربي، عالم الفكر، يناير - مارس 2002، ص 84 - 96، ص 104 - 119. وقارن مع: د. زهير حطب، العولمة والعنف، مجلة الفكر العربي، صيف 1998 ص 8 - 11.
32. وتشكو تلك الحركة النسوية من الاستقطاب الإسلامي لقطاعات نسوية عريضة للإيمان بالدور التقليدي للمرأة المصرية وتمجيد نمط القوامة الأبوية، الأمر الذي تجلّى في انتشار ظاهرة الحجاب والزى الإسلامي التقليدي، وتحول الجامعات إلى بؤرة لنجاح الإسلاميين في استمالة الطالبات وفريق من المثقفات إلى مقولة أن دور المرأة الأصيل هو: الحفاظ على الهوية الدينية ونقل القيم الروحية والقومية من جيل إلى جيل. وتعرض وضعية المرأة لضغوط من اتجاهين: البطالة وسياسات الخصخصة والإصلاح الاقتصادي الهيكلي (التي تحد من فرص التعليم والعمل والرعاية الصحية المتاحة أمام المرأة المصرية) وتبنى قطاعات نسوية لأنماط التنشئة التقليدية التي يروج لها من الأسرة إلى المدرسة إلى أجهزة الإعلام ودور العبادة، والمتبلورة حول الربط بين مكانة المرأة وعفافها وبين: حشمتها وطاعتها للآباء والإخوة والأزواج وانتمائها إلى بيت أبيها قبل الزواج وإلى بيت زوجها بعد الزواج، وضرورة تحاشيها لكل ما يعتبره المجتمع جالباً للعار على البيت الذى تنتمى إليه. وبمخلص هذا الفريق إلى أن المرأة لن تتمتع بالمواطنة الكاملة إلا إذا تحررت من ربط هويتها بأبومتها أو زوجيتها في أسرة ذات نظام أبوى. انظر: سلمى يونغان توالد المواطنة في مصر: التاريخ ومجتمع الشرق الأوسط، عرض د. السيد عمر، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، 2000، ص 5 - 40.
33. Roleau Eric , op. cit , p 88. وانظر أيضاً: Scott Macleod , Saudi prince's Call for Reform , 25/2/2002 , time , http: // www. Time. com / time / Europe / me / magazine / 0, 9869 / 212784 , 00. h tm / .

- الفكرة بتصدير فكرة: مدرسة إسلامية ترفع شعار التكيف مع مجتمع علماني. انظر: - Peter Jensen , Jakarta , Al Azher , Newsweek , 11/2/2002 & Ttaba Pepper , Islamic High school for Girls (Manchester) , Newsweek , 11/3/2002 & Sahib Hussain , Jamia Ulama Islamic, Newsweek , 11/3/2002 & Gameela Ismael, Talae Al-kamal , Egypt , Newsweek , 11/3/2002
21. Lance Morrow , who's more Arrogant ? h tt m 1 & A crant's view of the saudi volcano, http: // www. d I net - n - fis / comments / c 428. htm. وانظر أيضاً: Mortimer B. zukerman , Getting the mayor's Message , U. S News & world Report , Vol. 131 , issue 18 , 24/10/2001 pp. 60 - 63.
22. 254 - Harlan ullman, op. cit , p. 242
23. Stanly Reed , U. S - saudi Relations: changes are overdue , Business week , 0077135 , 29/10/2001 issue 3755 , File: // c: \ windows / desktop / U. S - Saudi Relations. h t m
24. Joseph A. Kechichian , why Saudis won't. change tune ? Christian science Monitor , 29/10/2001 Vol. 93 , issue 234, file: 11 A: 1 Saudi Arabia. h tm.
25. Jack Valent , Hollywood and the war against terror , http: // www. digital npq. org / archive / 2002 / spring / Ahmed. h tm / . وانظر . Akbar Ahmed , Hello Hollywood: your Images Affect Muslims Everywhere , http: // www. digital npq. org / archive / 2002 / spring / Ahmed. htm.
26. د. محمد محمود أبو غددير، إسرائيل وتوظيف المناهج الدراسية لمقاومة ثقافة السلام، شؤون الشرق الأوسط، القاهرة، مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، إبريل 2002، ص 28 - 32.
27. Roleau Eric , op. cit , pp 80 - 90
28. Gaber Asfour ,Financier of Intolerant ' desert' Islam , http: // www. digital n p g.org / archive / 2002 - winter / Asfour. h t m l. وانظر . Abd el wahab el - Affendi , Eclipse of Reason , the media in the Muslim world , http: // www. ibmpcug. co. U. K / n whip / world / .
29. د. عزيز حنا داود، التعليم المنضب المستنفد، الأهرام 2002/4/22 وانظر أيضاً: د. حسن شحاتة، المناهج المصرية لتحديث التعليم، الأهرام 2002/2/28، د. نبيل لوقا، نخضة

كما تجلت في: الخطاب الإعلامي، وكما تجسدت في مادة القيم والأخلاق التي تم تقريرها مؤخراً بدءاً بالفرق الثلاث الأولى من التعليم الأساسي.

أ- دليل معلم مادة القيم والأخلاق: اقتضت الإشارات ذات المضمون الديني في هذا الكتاب الواقع في 216 على سبيل الحصر فيما يلي:

1- أن علماء الدين الإسلامي والمسيحي (شاركوا) في إعداده.. مادته مشتقة من: مبادئ وتعاليم الأديان السماوية والعقل الجمعي للأمة.. لا يلزم التخصص بالنسبة لمن يقوم بتدريسه.

— الفلسفة المؤسسة لمنهج القيم والأخلاق نابعة من سبعة محاور متشابهة لم يرد للأديان ذكر ضمنها سوى بعبارة: توظيف مبادئ وتعاليم الأديان السماوية السلوكية 0

— الإطار النظري مأخوذ بالنص من الميثاق الأخلاقي العالمي ورؤية علماء المستقبلات والدور التربوي للمدرسة كما حددته اليونيسكو. ومداخل تحقيق الأهداف التربوية غربية تماماً. وبوسع من يتصفح الكتاب ملاحظة اعتماد مؤلفيه على مصادر أجنبية فقط، وعدم فصلهم بين القسم والأخلاق، بعكس ما يوحى به عنوان المادة، حيث يتحدثون عن: القيم الأخلاقية (ص 1 - 15). وهم يفرقون صراحة بين معلم التربية الدينية ومعلم المنهج الأخلاقي. الأول يركز على: تعاليم الدين والشرائع والثاني يركز على السلوكيات وعلى الشعور الأخلاقي الذي هو أرسخ وأقدم في نفس الطفل من الشعور الديني، ولا يهتم تخصص هذا المعلم. وليس الدين هو المصدر الوحيد للقيم الأخلاقية بل هناك مصدران آخرون: الضمير والمجتمع. وما الاعتبار الديني إلا أحد ست اعتبارات تطلب القسم الأخلاقية من أجلها (ص 16 - 18).

— الإشارات الدينية في هذا الكتاب على سبيل الحصر: المسيح معلم، والرسول محمد معلم (ص 17) ودعاء: اللهم طهر أنفسنا ونقها كما ينقى الثوب الأبيض من السدس (ص 19)، والرسول لقب بالصادق الأمين، وجزء من آية تدعو إلى التعاون (وتعاونوا على السر والتقوى) (ص 24)، وثلاث آيات تدعو إلى الحرية الدينية (ص 32 - 33)، وحديث دخول امرأة النار في هرة حبستها (ص 33) وإشارة عابرة لوصية لقمان لابنه بأن لا يمشي في الأرض مرحاً، وللأثر: من تواضع لله رفعه (ص 35 - 36)

34. يرى الأمير طلال أن بلاده بحاجة إلى الليبرالية والحوار والتحرر من حكم الرجل الواحد، والتوصل إلى نظام للمملكة وسياسة واضحة تغطي بالإجماع من خلال الحوار بين المؤسسات المدنية والدينية لبناء الديمقراطية والملكية الدستورية على مراحل. ويرى أن أخطر مشكلة تواجه السعودية في المستقبل هي: الأزمة السكانية، وهي بحاجة إلى فتوى دينية تعيد تفسير دعوة الرسول ﷺ للتناكح والتناسل التي تستند عليها المعارضة الأصولية في رفض تحديد النسل، ويرى أنها كانت صالحة في صدر الإسلام ولم تعد ملائمة في الظروف الراهنة. ويقول الأمير طلال إن القيادة السعودية بحثت الاتهامات الأمريكية للمجتمع السعودي في لجان وجلسات مغلقة، وتوصلت إلى صحة بعضها ووجوب معالجته، مثل: الحرية والديموقراطية وحقوق المرأة وحقوق الإنسان، ولكنه لا يسلم بأن معظم هذه المشكلات نابع من النظام التعليمي السعودي، وإن كان يرى أن المقررات الدراسية السعودية بحاجة إلى مراجعة من أجل صالح الأجيال السعودية القادمة. انظر:

**Scott Macleod , Saudi prince's Call for Reform , 25/2/2002 , time , h t t p : // www. Time. com / time / Europe / me / magazine / Scott / 0. 9869 / 212784 , 00. htm / .** وانظر أيضاً: **Maclod , with Friends like these? Http://www.Time.com/ Time/ Europe/ me /magazine / 0,48681 / 182842,00 html. http: // www.digital npq. org / archive / 2002 spring George A. Nader . وانظر أيضاً: / al ankary html , A dialogue with prince Al Waleed Bin Talal , Middle East Insight , Jan. Feb. 2002 , pp. 27- 30.**

**35. Scott Macleod ,How to Bring Change to the Kingdom ? time , 25 / 2 / 2002 & 4/3/2002 , http: // www. time. com / time / Europe / Magazine , article / 0. 13005, 959020304 , 212732 - 400. htm1. وانظر أيضاً: U.S. Saudi Relations , a middle East insight forum with Amb. Robert w. Jordan and a Delegation from Saudi Arabia , Middle East sight , March - April 2002 , www. mideastsight. Org,**

وأضاف السعوديون مادة التربية الوطنية، كما يفكرون في تدريس التراث الشعبي السعودي للخروج من الإطار التقليدي السائد من أمد طويل بالتطوير المستمر للمقررات الدراسية، سلمان بن يوسف الدوسري، دفاعاً عن الوزير ووزارة المعارف السعودية، الشرق الأوسط 2000/3/4.

36. وفيما يلي محاولة لاستقراء تعريف إجرائي لمفهوم إصلاح التعليم من واقع رؤية وزير التعليم المصري ومن يساندونها

— قيمة الحب: ورد بها حديث نبوي (أحب لأخيك ما تحب لنفسك) وعظة إنجيلية (الحبة: تتأني وترفق، لا تحسد، لا تتفاخر، لا تظن السوء، لا تفتخر بالإثم، بل تفرح بالحق) (ص 142).

(3) الجزء الخاص بالفرقة الثالثة:

— قيمة النظافة: لا ذكر للدين (ص 151)، وكذلك الحال بالنسبة لقيمة تحمل المسؤولية (ص 183).

— قيمة الأمانة: فضيلة دينية أخلاقية، والعمل عبادة، ومن غشنا فليس منا (ص 155، ص 159، ص 167).

— التعاون: وردت الأديان السماوية عليه، وإشارة لجزء من آية (وتعاونوا على البر والتقوى) وإشارة إلى أن في الإنجيل آيات تحت على التعاون دون ذكرها (ص 172 - 173).

— الحب: وردت إشارة إلى آية قرآنية في ضرورة اتباع الرسول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) وحديث نبوي في ضرورة حب الرسول (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده) واقتباس إنجيلي في المحبة المتبادلة (أحبوا بعضكم بعضاً. المحبة فلتكن بلا رياء وكونوا كارهين للشر ملتصقين بالخير) (ص 201).

— التذوق الجمالي: ورد لفظ الجلالة الله أربع مرات: الله خلق الجمال، الله خلق كل شيء، الله خلق الزهرة، قدرة الله (ص 206، 207، 209)

— قيمة التواضع: لأول مرة ترد عبارات دينية تحت على التواضع ضمن خطة الدرس: ما تواضع أحد الله إلا رفعه، الكمال لله وحده، لا يدخل الجنة من كان فيه مثقال حبة من كبر (ص 109 - 211).

انظر ما سبق في: د. كوثر حسين كوجك (وآخرون)، دليل المعلم لمنهج القيم والأخلاق لتلاميذ الصفوف الثلاثة الأولى من مرحلة التعليم الابتدائي، القاهرة: مطابع الشروق، الفصل الدراسي الأول، 2002 / 2003. وهذا الكتاب ألفه عشرة باحثين منهم اثنان مسيحيان. وهذا الفريق البحثي هو نفسه مؤلف الكتب الدراسية الثلاثة المقررة على الفرق الثلاثة الأولى من التعليم الابتدائي. وفيما يلي إطلالة عاجلة على موقع الدين في مضمون المقرر الدراسي لمادة القيم والأخلاق، والذي سيتضح منه أنها أقل اهتماماً بالدين

وغاب أي ذكر للدين في خريطة الأهداف السلوكية التي ينبغي تحقيقها في الصفوف الثلاثة (ص 37 - 45) وذلك عدا إشارة عابرة إلى: قدرة الله على خلق كل شيء (ص 44).

وبالتأمل في الجزء التطبيقي من هذا الكتاب يلاحظ الباحث ما يلي:

(1) الجزء الخاص بالفرقة الأولى:

— تركيز على التعاون بين مدرس مادة القيم والأخلاق ومدرس الموسيقى. (ص 56، 57، 76، 99).

— قيمة النظافة: لا إشارة للدين باستثناء القول بأن النظافة من الإيمان وحث عليها الأديان (ص 55).

— قيمة الأمانة: لا إشارة للدين باستثناء القول بأنه سلوك تدعو إليه كل الأديان، والكذاب يغضب ربه، والصادق مصيره الجنة (ص 64).

— قيمة التعاون: لا إشارة للدين عدا القول بأن الأديان السماوية دعت إلى التعاون، دون أي ربط للحقوق والواجبات بالدين (ص 70 - 77).

— قيمة تحمل المسؤولية: خلقت حتى من أي إشارة لحث الأديان عليها (ص 77).

— قيمة الحب: خلقت حتى من أي إشارة لحث الأديان عليها. فقط جاء بما: الله خلق الذراعين ليحتضن بعضنا البعض بمسا (ص 89)، والدين ينهي عن نهر السيدة العجوز (ص 90)

— قيمة تذوق الجمال: لا إشارة فيها للأديان. (ص 95 - 96).

— قيمة الحرية: وردت الإشارة إلى أنها هبة من الله. إلا أن تعريفها وضوابطها بعيدة عن الدين. فهي تعنى القدرة على الاختيار في إطار من ضوابط العقل والمجتمع (ص 99).

(2) الجزء الخاص بالصف الثاني:

— قيم النظافة، وتحمل المسؤولية، والتعاون، والتذوق الجمالي: لا ذكر للدين فيهما جميعاً (ص 105 - 106، ص 119 - 126، ص 145 - 148).

— قيمة الأمانة: جاء ذكر أنها خلق حميد دعت إليه الأديان السماوية. ولأول مرة يوجه المعلم صراحة إلى الإشارة إلى حديث نبوي (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)، واقتباس من الإنجيل (اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق). (ص 114)

— استبعاد الدين من نطاق خريطة الرؤية القومية للتعليم (ص 10).

— المصطلحات الواردة بالإنجليزية بكثافة في الوثيقة دليل على أن مصادرها كلها إن لم يكن كلها أجنبية ومفردات رصد المتغيرات العالمية المعاصرة مطابقة للمنظور الغربي (منها مثلاً: الثورة التكنولوجية، الفجوة المعرفية، المجتمعات المنتجة للمعرفة، السكان والبيئة، الانفجار السكان، المرأة كقضية عالمية، أقول دور الدولة ونمو دور المجتمع المدني، التعلم مدى الحياة، التدريب عن بعد، التعليم عن بعد) وتكشف قائمة الجهات المانحة للشبكة القومية المصرية للتعليم عن بعد، عن توجهات هذه النقطة: برنامج المعونة الأمريكية، البنك الدولي، الاتحاد الأوروبي، الجهات المعاونة وفي مقدمتها: الجامعة الأمريكية بالقاهرة والمراكز الثقافية لكل من فرنسا وألمانيا وأمريكا، فضلاً عن تجهيز بعثات داخلية تحويلية لإرسالهم لاحقاً إلى الولايات المتحدة وبريطانيا، وإرسال أكثر من ثمانية آلاف مبعوث للدراسة بالخارج عام 2001 وإعداد مائتي دراسة لتطوير المناهج ص 76 - 87، ص 102 - 110، ص 125 - 128 وفي حين لا نجد ذكراً للدين من قريب أو بعيد إلا ثلاث مرات على سبيل الحصر وبشكل عابر (ص 7، ص 83، ص 108) فإن الحديث عن الشراكة بين وزارة التربية والتعليم والمنظمات الدولية والغربية يسود ثمان صفحات، وتتحدد الجودة الشاملة لنظام التعليم بربطه بخمسة مفاهيم عالمية: الشراكة والمشاركة والمجتمعية والتكامل والشفافية (ص 146) وتطرح الوثيقة مفهوم: التربية للوالدية والشراكة بين الوالدين والإعلام والمدرسة في العملية التعليمية (ص 152 - 153) وهكذا يتضح أن هناك محاكاة إلى حد بعيد لأنظمة التعليم الغربية.

ويلمس الباحث ذلك أيضاً في إصدارات المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، حيث يغيب بشكل ملحوظ الدين من دائرة البحث التربوي حتى في البرامج المطروحة لإعداد معلمى اللغة العربية. ممرحلة التعليم الأساسى. انظر مثلاً: العدد الثانى من المجلد الأول من مجلة البحث التربوى نصف السنوية التى شرع المركز المذكور فى إصدارها مؤخراً، عدد يوليو 2002 ص 535 - 563.

إلا أن الملاحظ أن هناك توجهاً فى أوساط المسئولين عن التربية والتعليم يبدى معارضة للتوجه السابق من منطلق الخوف على الهوية وليس من منطلق دينى، بل إن البعض يرى أن الانفتاح على الغرب وسيلة للتحصين فى مواجهة العولمة. انظر مثلاً: الدراسة التى تحذر من الأمركة فى مجال الإعلام التعليمى الذى يصدر

حتى من الدليل الخاص بتدريسه. فلقد أشير إلى الدين على سبيل الحصر على النحو التالى:

(1) مقرر الصف الأول الابتدائى: يشتمل على قيم: النظافة، الأمانة، التعاون، تحمل المسؤولية، العطف والرحمة، تذوق الجمال، الحرية. ولا توجد فيه أى إشارة لمعنى دينى ولا لربط القيم بالأديان باستثناء العبارات التالية (الكذب حرام، الكذاب جزاؤه النار، الصادق جزاؤه الجنة). انظر: د. كوثر كوجك (وآخرون)، القيم والأخلاق، الصف الأول، القاهرة، مطابع دار الشروق، الفصل الدراسى الأول، 2002/ 2003، ص 7، ص 10).

(2) مقرر الصف الثانى الابتدائى: القيم الواردة به هى: النظافة، الأمانة، التعاون، تحمل المسؤولية، الحب، تذوق الجمال. ويحلل هذا الكتاب تماماً من أية إشارة لأصل دينى لهذه القيم. انظر: د. كوثر كوجك (وآخرون)، القيم والأخلاق، الصف الثانى، القاهرة، مطابع روز اليوسف، الفصل الدراسى الأول، 2002/ 2003.

(3) مقرر الصف الثالث الابتدائى: القيم الواردة به هى: النظافة، الأمانة، التعاون، تحمل المسؤولية، الحب، تذوق الجمال، التواضع. ولا إشارة فيه للدين باستثناء العبارات التالية: العمل عبادة (ص 13) أودى الصلاة فى مواعيدها (ص 22) الطبيعة هى كل ما خلق الله والتأمل فيها يزيد من إيماننا بقدرة الله، والأهمار والبحار وما بها من مخلوقات من صنع الله (ص 41). انظر: د. كوثر كوجك (وآخرون)، القيم والأخلاق، الصف الثالث، القاهرة، مطابع ول إنجنيرنج، الفصل الدراسى الأول، 2002/ 2003.

وتكشف دراسة أخرى تقع فى 176 صفحة أشرف على إعدادها أربعة عشر مسئولاً رفيعاً بوزارة التربية والتعليم عن موقع الدين فى منظور المسئولين عن صنع السياسة التعليمية فى مصر. فالتأمل فى هذه الدراسة (التي أطلق المشرفون عليها اسم: الوثيقة وهى: د. حسن حسين البلاوي (وآخرون) مبارك والتعليم، القاهرة، مطابع روز اليوسف، 2002، يلاحظ أن معالم هذه النقطة هى:

— السعى إلى وضع إطار ديمقراطى لإصلاح التعليم يقوم على: التحول من ديمقراطية التعليم إلى: تعليم الديمقراطية (ص 90 - 95).

37. مذكرة النصيحة: نصيحة العلماء لحكام السعودية العملاء، ورقة غير منشورة موجهة إلى خادم الحرمين الشريفين، بدون تاريخ.

38. د. إبراهيم عبد الرحمن رجب، أسلمة العلوم الاجتماعية، ضرورة منهج وضرة حياة، تحقيق: عادل الطريفي، الخايد، 2001/8/22.

39. د. عبد الله شحاتة، مناهج الأزهر لا تصلح لواقعنا الجديد وتحتاج إلى تطوير، الشرق الأوسط، القاهرة، 2002/5/31.

40. Anwar Ibrahim , Terror attacks set back cause of Democracy in Islam [http: // www. digital - npq.org / archive / 2002 winter Ibrahim. htmI- /

41. Sheikh Saudi Nasser al - sabah , Political Islamists have hijacked Arab world , http: // www. digital npq. org / archive / 2002 - winter / sabah. html

42. Munawor Anees , Islam is a t - Rex , http: // www. digital npq. org / archive / 2002 / spring / Anees. h tm l.

43. http: // www. digital npq. org / archive / 2002. spring / Mahater. html.

44. M. shahid Alam ,op. cit ,

45. Imam M. Imam , Hassan Al - Turaby speaks out for the first time since sept.11 , Npq , http: // www. digital npq. org / archive / 2002 / spring , al-Turaby. html.

46. Terrorism: questions & Answers , council on foreign Relations in cooperation with markle foundation , http: // www. terrorism answers com / Galition / Saudi Arabia 2. h t mi. & http: // www. terrorism answers. com / causes / Regimes 2. html.

47. انظر: د. سليمان إبراهيم العسكري، بيان المثقفين

الأمريكيين: دعوة للحوار أم الحرب؟ مجلة العربي، يونيو

2002، ص 8 - 13، د. قاسم عبده قاسم، الحروب

الصليبية، متى تكون النهاية؟ مجلة العربي مايو 2002، ص

26-29، نصير عازوري، حملة جورج بوش المناهضة

للإرهاب، المستقبل العربي، أكتوبر 2002، ص 31 - 41.

48. انظر في تفصيل ذلك: دانييل ج. إيلازار، التنوع الديني

والانجاء الفيدرالي، ترجمة محمود محمد حسب الله سليمان، مجلة

الدولية للعلوم الاجتماعية، اليونسكو، مارس 2001، ص 85

- 93، وانظر أيضاً: هيكتور جروس أجيل، عالمية حقوق

الإنسان والتنوع الثقافي، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية،

اليونسكو، ديسمبر 1998، ص 93 - 106.

لأطفالنا مفهوم أن (المجد للقوة والعنف) ومضامين: العنف والجنس

وتحدى السلطة الوالدية والقيم الاستهلاكية والرافضة، والحريية

المطلقة الموازية للفوضى واللامسؤولية، والفضائح والجرائم وأساليبها

في: د. أميمة منير جادو، عولمة الإعلام وانعكاساتها على تربية

الطفل، مجلة البحث التربوي، القاهرة، المركز القومي للبحوث

التربوية والتنمية، العدد الثاني، يوليو 2002، ص 990 - 993.

49. انظر: كاترينا تومافيسكي، حقوق المرأة من خطر التفرقة على التخلّص منها، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، اليونسكو، ديسمبر 1998، 121 - 143.

50. انظر على سبيل المثال: د. أحمد يوسف أحمد، ماذا يتبقى من الولايات المتحدة، الهلال، نوفمبر 2001، ص 8 - 16، سميح فرحون، جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب، المستقبل العربي، أكتوبر 2002، ص 6 - 10،

**Enver Masud , The war on Islam ,  
Arlington , Madrasah Books , the wisdom  
Fund , 2002 , pp. 40 - 43&**

**Dr. Mustafa Al syid , Mixed Message: The  
Arab and Muslim Response to Terrorism , the  
Washington quarterly , Spring 2002 , pp. 182 -  
186.**